محمد سليم الجندي

في حفلة الاربعين

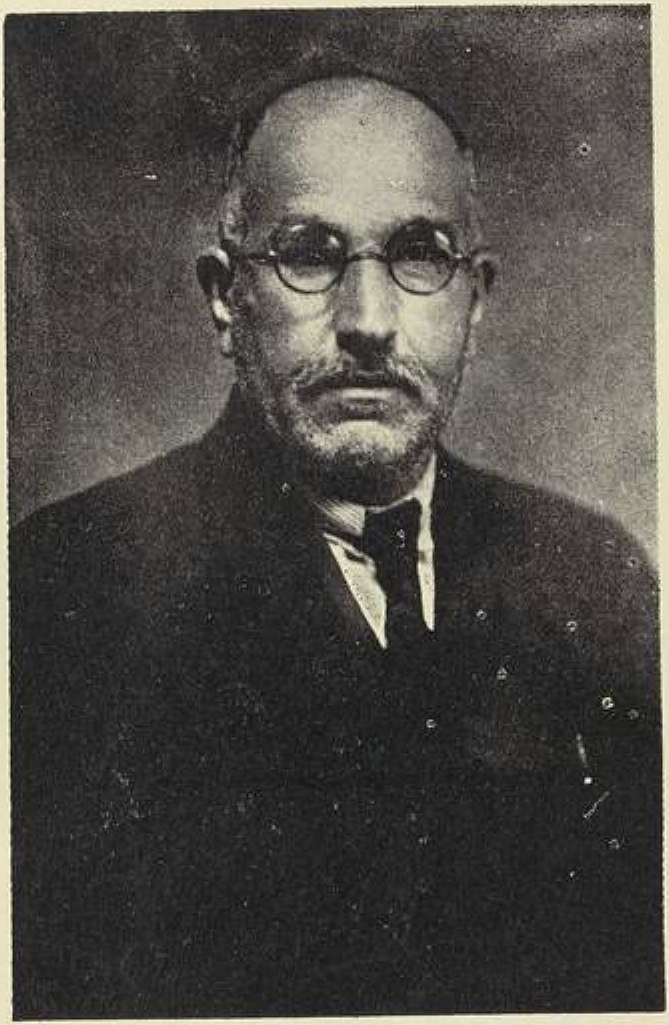
Muhammad Salim al-Jundi

محمد سليم الجندي

كلمات افاضل الشام بمناسبة احتفال الجامعة السورية

بذكري الاربعين له

رحمه الله



الفقيد الاستاذ محمد سليم الجندي رحمه الله

١٢٩٨ - ١٣٧٥ هـ

١٨٨٠ - ١٩٥٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ».

* * *

روّعت محافل العلم والأدب حين اعلنت الاذاعة السورية نبأ وفاة العلامة الجليل محمد سليم الجندي يوم الاثنين (٨ ربيع الاول سنة ١٣٧٥ هـ : الموافق ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٥) . فوجمت كل نفس عرفت الفقيد لحظات لهزة الفاجعة الأليمة ، وسالت دموع ولهجت ألسن بالضراعة الى الله سائلة الرحمة للفقيد والتعويض على الامة .

ثم نعاه الى الامة المجمع العلمي العربي وابناء الفقيد فهرع الناس زرافات ووحدانا الى داره في المهاجرين حيث شيع في موكب حافل مشى فيه المئات اكثرهم من رجالات العلم والادب من رفاقه وطلابه وعارفي فضله ، وكلهم مكبر الفجيعة فيه ، ثم صدرت كبريات الصحف واصفة موكب تشييعه الى مقره الاخير في مقبرة اسرته بالدحداح حيث وقفت الجماهير المحتشدة تستمع الى كلمة التأبين التي القاها الاستاذ احمد مظهر العظمة ثم انصرفوا مكبرين الرزء الجسيم بفقده رحمه الله .

وأرادت الجامعة السورية ان تقوم بأقل ما يفرضه النبل والاصالة نحو استاذ له فيها الخدمات الجلى ، فدعا رئيسها الى حفلة في مدرج الجامعة الكبير تقام « لتأبين كبير علماء العربية في الديار الشامية » في تمام الساعة الخامسة والنصف من مساء الاحد (١٩ ربيع الثاني ١٣٧٥ هـ الموافق ٤ كانون الاول ١٩٥٥) .

وقبل الموعد المحدد ضاق المدرج الكبير على رحبه بكبار المدعوين يتقدمهم موفد صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي وكبار العلماء والوزراء والقضاة والنواب ، واضطر فريق كبير الى الوقوف طول الحفلة التي دامت ساعتين وفريق اكبر منه رجع اذ لم يجد مكانا يقف فيه .

وافتتحت الحفلة بعشر من آي الذكر الحكيم وتتالى الخطباء والشعراء على الترتيب الآتي بيانه بعد هذه الكلمة .

ثم تلقت لجنة التأبين إلحاحاً من علماء وادباء حضروا الحفلة ورجوا طبع كتاب يتضمن ما قيل فيها من كلمات ، فرأت اللجنة ذلك واجباً عليها واستجابت اسرة الفقيد فقامت بطبع هذه الذكرى بحيث تضم كلمات الحفلة ثم الكلمات التي وردت بعد الحفلة . ووعدت ببذل الجهد لطبع كل ما خلف الاستاذ الجندي من مؤلفات قيمة اشتهر امرها في المحافل العلمية دون ان يتم احد بالاطلاع عليها ، واللجنة تسجل هنا هذا الوعد على انجاله الكرام بشرى تزفها الى عشاق العلم والأدب .

واللجنة اذ تقدم هذه الذكرى للتاريخ ، تسأل الله الكريم ان يوالي على الفقيد رحماته الواسعات ، وان يغيث العربية بمخلصين غُيُر على غراره في سعة العلم وقوة البصيرة والنصح في التعليم والمحافظة على سلامة العربية ، وتحمل الاذى في سبيل حمايتها من ادعياء العلم والادب انه نعم المجيب .

لجنة التأبين

ترجمة الفقيد المرحوم محمد سليم الجندي بقلمه (١)

« هو محمد سليم بن محمد تقي الدين بن محمد سليم الجندي مفتي معرة النعمان وحمص . ولد في معرة النعمان عام ١٢٩٨ هـ ليلة الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك، ونشأ في حجر والده حتى بلغ السابعة من العمر، ثم تعلم القرآن الكريم على شيوخ المعرة فأتمه عليهم . ثم دخل المكتب الرشدي وهو مكتب الحكومة اذ ذاك وقد تسنى له اجتياز سني الدراسة الاربع في سنتين وأخذ الشهادة .

ثم تفرغ للدراسة في المسجد الكبير في المعرة، فقرأ على الشيخ صالح ابن رمضان ومن بعده على ابنه بعض دروس الاجرومية و كتاب شرح الغاية للخطيب الشربيني في الفقه الشافعي وبعض دروس النحو، وقرأ القرآن والتجويد على الشيخ حسن بن أحمد المطر المعري وهو أعلم أهل بلده في القراءة وقتئذ ، وقد استظهر اكثر القرآن الكريم ، وحفظ متن العوامل والاظهار للبركوي والكافية لابن الحاجب والفية ابن مالك في النحو ومتن ايساغوجي والسلم في المنطق ومتن الرحبية في

(١) منتقاة من ترجمة له مفصلة أوردها بضمير الغائب ولم ينشرها في حياته.

الفرائض ومتن الجوهرة والامالي في التوحيد والعقائد ومتن الزبد في الفقه الشافعي .

وكان والده رحمه الله كلما ظفر بقطعة جيدة من الشعر كتبها وحضه على حفظها .

وقد اولع بشعر أبي العلاء المعري منذ حداثة سنه وحفظ منه شيئاً كثيراً، وكان في عهد الحداثة والشباب سريع الحفظ ما سمع بيتاً أو بيتين من الشعر الجيد الا رسخ في حافظته، وقد تخرج بالشعر والادب واللغة بما درسه وحفظه من شعر أبي العلاء وغيره .

ثم ابتدأ بقرض الشعر في نحو الثالثة عشرة من عمره وظل ينسج على هذا المنوال ويحتذي على هذا المثال الى ان كتب الله عليه مفارقة المعره مهاجر مع والده الى دمشـق في عام ١٣١٩؛ هـ ووضع فيها عصيّ الحاضر المتخيم واقام فيها . وقرأ على جماعة من علمائها الاعلام وعاشر طائفـة من فضلائها وادبائها وكتابها وشعرائها واعيانها وذوي الظرف منها .

وشرع في التفقه على مذهب الامام ابي حنيفة على جهابذة العلم في دمشق منهم الاستاذ العلامة الفقيه الشيخ محمد شكري الاسطواني فقرأ عليه كتاب مجمع الانهر شرح ملتقى الابحر وشرح السراجية في الفرائض وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

وقرأ على الشيخ عبد القادر بدران كتاب التلويح شرح التوضيح في الاصول لسعد الدين التفتازاني وشرح المختصر في علوم المعاني والبيان والبديع وشرح شيخ الاسلام على الخزرجية في العروض والقوافي .

وقرأ على الاستاذ العلامة الشيخ عطا الكسم مفتي دمشق كتاب الدر المختار شرح تنوير الابصار مع أكثر الحاشية رد المحتار وشرح المرآة للازميري في الاصول .

وحضر دروساً كثيرة في النحو والمنطق كالفنارى على ايساغوجي وشرح القطب على الشمسية .

وقرأ على الاستاذ الفاضل الشيخ حسين الشاش وكان مكيناً في العلوم الآلية قرأ عليه رسالة السمرقندي في البيان وايساغوجي في المنطق.

وقرأ ايضاً على الاستاذ العلامة المحقق شيخ المحدثين في عصره الشيخ محمد بدر الدين الحسني الجزائري الاصل الدمشقي المولد والوفاة .

حضر عليه قسماً كبيراً من كتاب التحبير والتقرير لابن امير الحاج ، شرح التحرير لابن الهمام في الاصول.وجمع شرح جلال الدين المحلي على جمع الجوامع للسبكي في الاصول ، وكتاب المسامرة لابن أبي شريف شرح المسايرة لابن الهمام في التوحيد وشرح السنوسية الكبرى في التوحيد وقرأ شيئاً من شرح المنار على الشيخ بهاء الدين الافغاني .

وكان بعض رفاقه في الطلب يشاركونه اولاً في مطالعة الدروس وإعدادها قبل قراءتها على الاستاذ، ثم رغب فريق منهم ان يعيد قراءتها عليه بعد الدرس فابى طلبه، كما كلفه فريق من الطلبة ان يقرئهم دروساً في النحو والصرف والمنطق ففعل. فكان يبتدىء في الدروس في داره منذ طلوع الشمس الى الظهر ومن بعد صلاة العصر الى قرب منتصف الليل.

وظل الامر كذلك الى ان عين في عهد الحكومة العربية منشئاً اول ثم مميزاً ثم جعل استاذاً للادب العربي في مدرسة تجهيز الذكور في دمشق، وبقي الى عام ١٩٤٠ فأحيل على التقاعد لبلوغه سن الستين. وكان سبق له ان انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي، كما انه خلال أيامه السابقة وظف استاذاً للآداب في مدرسة اللاييك وفي مدرسة جمعية العلماء. وعين استاذاً للدروس العربية في كليـة الآداب ودرّس فيها القواعد العربية والبلاغة والخطابة. ثم عين ناظراً للكلية الشرعيـة في دمشق ثم مديراً لها.

سيره في الحياة كلها

كان في جميع هذه الاطوار التي قطعها في حياته شديد التواضع لين الجانب ينهج المنهج الذي سلكه (معاوية) : لو كان بينـه وبين الناس شعرة ما قطعها، وكان شديد الخشيـة من الله، مواظبا على الفرائض والواجبات الدينية، شديد الغيرة على مصلحة الاسلام والعرب وكل وطن.

اسلامي. لم يقترف شيئاً من المنكرات في جميع حياته، وكان يقنع باليسير ويشكر على القليل والكثير، ويرضى من الوفاء باللقاء، ولم يبذل ماء وجهه قط لأحد لانه يقابل الحسنة بمثلها ان عجز عن ضعفها، ويحتمل السيئة ويُغضي عن الهفوة ما وجد الى ذلك سبيلا .

لا يعرف لأحد عليه فضلا الا قابله بمثله لان الله جل جلاله لم يحوجه الى غيره في شيء ماخلا اساتذته الذين تقدم ذكرهم فإنهم علموه وهذبوه وأرشدوه لوجه الله من غير ان ينالوا منه اجراً ولا جزاء، وقد احتذى على مثالهم فعلّم مئات من الناس لم ينل منهم اجراً قط .

وفي عام ١٩٤١ منحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق تقديراً للجهود التي بذلها طوال ثلاثين عاماً في تعليم اللغة العربية .

ما استطاع تأليفه وانشاءه من النظم والنثر

ولع في فاتحة حياته ولعاً شديداً بالشعر نظماً وقرضاً ثم نظم بعض القصائد في موضوعات مختلفة فصادفت قبولا من بعض الادباء وغيرهم، فأفضى ذلك الى ان يكثر الناس طلب تواريخ منه لينقشوها على حجارة القبور لموتاهم حتى ملّ من ذلك وسئم قول الشعر فأمسك عنه .

وحين قرأ العروض والقوافي نظم رسالة فيهما نجاءت مطولة بلغت مائتين وخمسين بيتاً فاستكثرها ورأى اختصارها يحتاج الى وقت طويل لم يجده فمزقها وأحرقها .

أما النثر فقد استطاع على كثرة اعماله وقلة اعوانه وضيق اوقاته ان يضع بعض الكتب والرسائل وان ينشىء بعض المقالات في مواضيع مختلفة.

منها «المنهل الصافي في العروض والقوافي» وقد جمع في هذا الكتاب من مسائل هذا العلم مالم يجتمع في غيره ورتب مسائله ترتيباً محكماً حتى جعله كالسلسلة المتصلة الحلقات آخذ بعضها برقاب بعض وواضحة غاية الايضاح واكثر فيه من الشواهد ليتسنى لكل احد فهم مسائله باسلوب تهواه النفوس وتهوي اليه القلوب وقد تم تأليفه وانتهى وأعده للطبع.

ومنها كتاب في النحو سماه (مرفد المعلم ومرشد المتعلم).

وهو كتاب جامع لاكثر ما تشتت من مسائل هذا العلم وقد حرص فيه على جمع الاشباه والنظائر وادخال كل مسألة في بابها ورتبه على اسلوب يسهل معه الرجوع الى مايريده الباحث من مسائله (ولم يتم بعد) ومنها رسالة في احكام (ما ومن) وقد استوفى كل مايتعلق بهما من الاقسام والاحكام. وهي من الدروس التي القاها في كلية الآداب.

ومنها رسالة في (الكرم) جمع فيها كل ما يتعلق بالكرم من حين يكون يغرس الى ان يثمر وينضج ويتخذ طعاماً او شراباً، وذكر مالكل جزء من اسماء في كل طور ومايعرض له ورتبه على ترتيب الكرم الطبيعي ليسهل الرجوع اليه وقد يجد الباحث فيها ما لا يجده في غيرها. وقد تمت وطبعت في مجلة المجمع العلمي في دمشق.

ومنها (عُدة الاديب) وهي ثلاثة اجزاء صغيرة جمع فيها طائفة من كلام البلغاء والحكماء والعلماء والشعراء وشرحها شرحاً وافياً وقد شاركه في تأليفها الشيخ محمد الداوودي وطبعت عام ١٣٤٥ هـ.

ومنها (عمدة الاديب) وهي كتب متعددة جمع في كل واحد منها ما يتعلق بكاتب واحد أو شاعر واحد من اخباره واشعاره ودراسة ادبه وقد تم بعضها منها «امرؤ القيس، وعبد الله بن المقفع، والنابغة الذبياني، وعلي بن ابي طالب» وقد طبعت جميعها.

ومنها شرح وتحقيق (رسالة الملائكة) لابي العلاء المعري وتفسير الشواهد فيها وبيان قائليها وتراجمهم وقد طبعت في دمشق عام ١٣٦٣ هـ.

ومنها ترجمة (ابي العلاء المعري) واخباره ودراسة اشعاره ولم يطبع، وهو أجمع كتاب لاخبار ابي العلاء ودراسة ادبه، وفيه تحقيق كثير لما كتب فيه أو نسب اليه، وتصحيح لكثير مما وقع فيه العلماء من الخطأ والاخبار.

ومنها (رسالة في الطرق) وهذا الغرض لم يُر فيه لأحد من المتقدمين كتاباً ولا رسالة وقد سأل كثيراً من أوعية العلم: هل رأى احد منهم شيئاً على هذا القبيل؟ فقالوا: لا. وقد ذكر فيها اسماء الطرق واقسامها وانواعها في السهل والجبل والاودية والموارد وغيرها. وقد طبعت معظمها في مجلة المجمع العلمي العربي.

ومنها رسالة في الأودية ومسايل المياه جعلها ملحقة برسالة الطرق تتميماً للفائدة.

ومنها (رسالة في المعلمين) وهي على وشك الاتمام وقد اشتملت على كثير من اخبارهم ونوادرهم ومزاياهم المحمودة والمذمومة وعلى منزلتهم عند الخلفاء والامراء والاعيان والناس، وربما كانت أجمع رسالة في هذا الموضوع.

وألف كتباً اخرى في مباحث لغوية وغيرها:

منها كتاب إصلاح الفاسد من لغة الجرائد وتم طبعه في عام ١٣٤٣ هـ

ومنها رسالة الاطعمة والاشربة في بلاد الشام وهي لم تطبع بعد

ومنها رسالة العادات في بلاد الشام وهي لم تطبع بعد

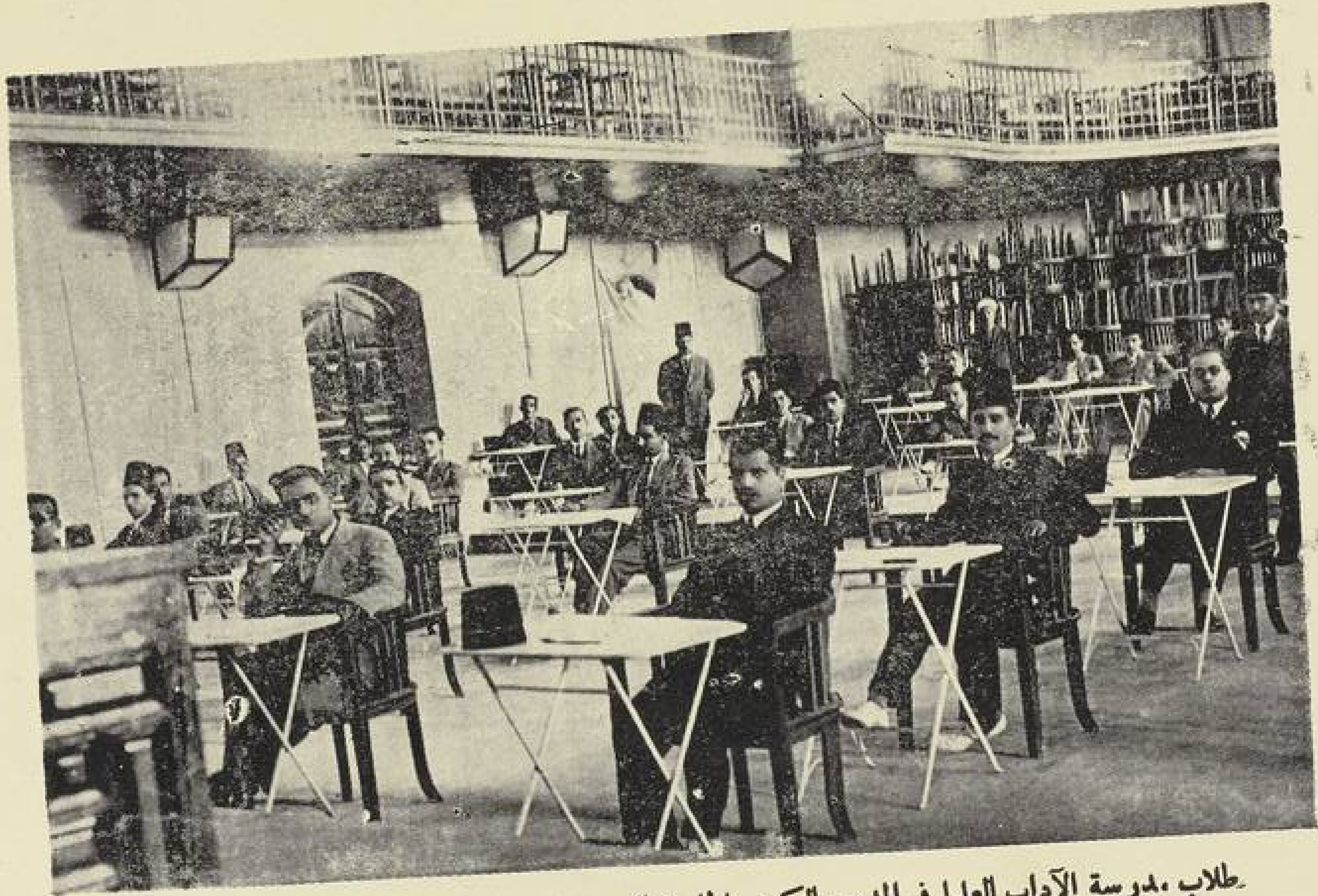
ومنها رسالة الامثال العامة في بلاد الشام وهي لم تطبع بعد

واما المقالات فقد نشر الكثير منها في مجلة المجمع العلمي ومجلة الهلال المصرية ومجلة العرفان ومجلة الرابطة الادبية وغيرها.

وقد وضع رسائل متعددة تشمل على دراسة جماعة من اعلام الادباء والشعراء كجرير والفرزدق والاخطل وعمر بن ابي ربيعة وزهير والاعشى والحطيئة والخنساء وحسان وابي تمام والبحتري وابي نواس وشرح كثيراً من قصائدهم الا ان اعتلال صحته حال بينه وبين انجاز ذلك،

القسم الاول

كلمات المؤبنين على ترتيب القائها في الحفلة الكبرى التي اقامتها الجامعة السورية على مدرجها الكبير في الساعة الخامسة والنصف من مساء الاحد في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ هـ الموافق للرابع من كانون الاول ١٩٥٥ م ٠



طلاب مدرسة الآداب العليا في المدرج الكبير بالجامعة السورية يؤدون امتحانهم السنوي سنة ١٩٢٩
ويرى الفقيد يراقب واقفاً الى يمين الصورة

كلمة الدكتور

أحمد السمان رئيس الجامعة السورية

لقد حرصت الجامعة السورية على ان تمجد فقيد العلم والادب وفاء منها بواجب مقدس حيال (الجندي) المعلم والعالم والرجل .

اما المعلم : فالفقيد لم يكن استاذاً في الجامعة السورية وحسب، ولكنه كان معلماً لاساتذتها فأثره فيها وفي تعليم العربية واضح غير منكور .

كان واحداً من قبضة من الرجال علموا جيلاً كاملا من الشباب وأشربوه حب العربية واتقانها العربية في زمن كانت فيه يتيمة منسية فصنعوا ماتعجز عنه دولة وماتنوء به العصبة أو لو القوة ووضعوا أسس الثقافة اللغوية وعماد النهضة القومية العربية .

كان معلم جيل وأباً روحياً لابناء لا يحصون، وكان شأنه شأن كل معلم حقيق باسمه، يُعطي ولا يأخذ، يعطي من غير منّ ولا حساب خير ما عنده وكل ما يستطيع :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذّ طعم العطاء

وكان حسبه أن ينال رضى ربه واطمئنان نفسه .

وأما العالم فقد كان ضليعاً في اللغة بصيراً بمفرداتها وتراكيبها، قد مازج روحه إشراقها، وما أراني موفيه حقه من الوصف الا اذا استعرت ما قاله الحاتمي للمتنبي وهو يناظره: (أنت أبو عذرة اللغة العربية وأولى الناس بها وأعرفهم باشتقاقها والكلام على أفانينها وما أحد أولى بان يسال عن غريبها منك)، والا إذا نحلت قول ابن خلكان عن المتنبي ايضاً: (انه كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها، وانه لا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب).

تلمذ فقيدنا على اساتذه الاجيال المبدعة المنتجة، سما الى القمم وشرب من رأس الينبوع ومتح من سيبويه وحماد والخليل ومن المعلقات والمجمهرات والمذهبات والمفضليات والاصمعيات، مع ما يتطلب ذلك كله من إنضاء عزم وحب علم وقوة أجنحة وحدة بصيرة.

كان بقية عصر مضى وصفحة من تاريخ، ولكنها صفحة تتكلم. وكان يعيش في عالمين عالم الماضي الغني بكنوز العلم ينقل منه ما يستطيع الى عالم الحاضر.

وأما الرجل، فما انا بمقام سرد خلاله وحسبي أن أذكر الخلاصة من عبقريته، فقد عرف للمعلم قدره وللعالم مكانته فحفظ لنفسه كرامته ونأى بها عن مواضع الصغار والزلل ومواطن الضعف، فعاش كريماً أبياً ولم يجمع الناس على شيء إجماعهم على سجاياه الخلقية، فقد:

قال فيها البليغ ما قال ذو المـــــــي و كل بوصفها منطيق
وكذاك العدو لم يعدُ ان قا ل جميلا كما يقول الصديق

واذا كان الفقيد خالدا في نفوس تلاميذهم اكثر من أن يحصوا فهو خالد في أعمال أبناء احسن تربيتهم ونشأهم على خير ما ينشأ عليه ولد وترك لهم ثروة ضخمة من طيب الاحدوثة والحب والكرامة والاباء... هم جديرون بالحفاظ عليها لأب عزيز كريم .

لقد كان ابوهم عزاءً لنا وأملنا فيهم ان يكونوا عزاء لنا عنه .

احمد السمان :

كلمة الاستاذ شفيق جبري عميد كلية الآداب

لست ادرى لماذا صحبت في سفري الى اميركة كتاباً من كتب النحو والتصريف، اني لم اصحب هذا الكتاب لأرجع اليه في التأليف ولكني صحبته لقراءته في الفراغ فاني ارى في النحو مقياس ضبط الفكر، واذا دلتنا اللغة على مقدار توسع اهلها في مذاهب الفكر كالفلسفة والاجتماع وماشا كلهما فإن النحو يدلنا على مقدار منطقهم في هذه المذاهب. فقد اجد في بعض اللغات اربع مواد لتصوير المضاف والمضاف اليه على حين نكتفي في لغتنا في مثل هذه الحال بمادتين ليس غير. فنقول (دار زيد) فلا يستطيع بعض اهل اللغات ان يستغنوا في تصوير المضاف والمضاف اليه عن إدخال أل التعريف على المضاف وحرف الجر على المضاف اليه، فاذا صحبت كتاباً من كتب النحو في سفرى فلم اصحبه الا لأملأ ذهني من منطق العرب في حسن ترتيبهم للفكر وايجازهم في هذا الترتيب. — من هذه الناحية يتبين لي فضل الاستاذ سليم الجندي في الانقطاع الى النحو والتصريف والى آلات اللغة بأجمعها، ان في انقطاعه هذا دليلاً على عنايته بروح اللغة واهتمامه بخصائصها. لقد عرفته من خمس وثلاثين سنة بوجه التقريب، عرفته

لما عهدت اليه اول حكومة عربية في هذه البلادان يتولى ديوان الانشاء في بعض الدوائر لضبط العبارة وتنقيحها ثم عرفته لما درس النحو والتصريف في بعض مدارس الحكومة وأذكر أن الاستاذ العلامة محمد كرد علي كان وزير المعارف في سنة من السنين فطلب الي أن اذهب معه إلى مدرسة البحصة، وكان الاستاذ سليم الجندي يلقي على فريق من المعلمين شيئاً في النحو، كان رحمه الله على منبره كالرمح المركوز على تعبير الجاحظ، يتدفق في التدريس ولا كتاب أمامه ولا ورقة بين يديه، كأن قواعد اللغة ماثلة لذهنه لا يفوته منها شيء، فخرج العلامة كرد علي وهو يقول وقد بلغت الدهشة منه كل مبلغ: «سبحان الله كأن النحو مطروح بين يديه!»

وقد كان الاستاذ الجندي على توسعه في النحو وعلوم اللغة حسن التصرف في شرح الدقائق وكشفها، لا يميل الى شيء من التضييق، أشكلت علي عبارة وانا ادرس كتاب الاغاني في كلية الآداب، قابل حسان بن ثابت بين سكر الملوك من الغساسنة وبين سكر بعض المسلمين في صدر الاسلام، فرأي كلام يحتمل وجهين وهذا هو «وتركنا الخمر وما كُرِه» قال هذا الكلام صاحب الاغاني على لسان حسان ابن ثابت؛ والضمير في (كره) قد يجوز ان يرجع الى الله عز وجل لورود

ذكره قبل العبارة وقد يجوز ان يرجع الى الخمر ، والخمر يؤنث ويذكر. فارسلت الى الاستاذ الجندي احد اصدقائه ليستفتيه في هذا الكلام، فقال الاستاذ رحمه الله أوسع رحمة: «اذا كنت في جماعة من أهل العسر فارجع الضمير الى الله عز وجل ، وإذا كنت في جماعة من أهل اليسر فارجع الضمير الى الخمر ولا شك في ان رجوع الضمير الى الخمر يجعل قوة في العبارة لأن ترك المسلمين في صدر الاسلام للخمر وهم لا يكرهونها ادل على قوة ايمانهم .

الا أن الاستاذ الجندي لم يقتصر فضله على النحو وحده فقد جال في اللغة أبعد مجال وتعقب أئمتها في العصر الحديث، وفي مقدمتهم الشيخ ابراهيم اليازجي. ولكني ارى ان التشدد في اللغة دون التشدد في النحو، فان اللغة لا تفسد بدخول تراكيب اعجمية او الفاظ اجنبية عليها مقدار فسادها باختلاف نحوها وتصريفها، فاللغة الانكليزية قد دخلها اكثر من ثلاثين الف مادة فرنسية فلم تؤثر هذه المواد في روحها لأن قواعد نحوها بقيت سالمة لم يختل شيء منها .

هـذا فضل سليم الجندي فضله في النحو الذي هو مقياس التفكير وفضله في اللغة التي هي عنوان هذا التفكير . واظن انه لم يبق من طبقة الاستاذ الجندي احد في البلاد، فقد نلحن في كتاباتنا كل يوم ولا نرى من يقوّم اعوجاج السنتنا واقلامنا . فالاستاذ الجندي آخر من ادخره

الله تعالى لهذه اللغة التى لم يبق من ميراثنا في القديم غيرها ، ومع هذا كله نجد فى كل يوم ناساً يحاولون تهديم نحوها وتصريفها ومفرداتها بأسماء شتى : مرة باسم التبسيط ومرة باسم التطور وغير ذلك .

إن لغتنا لم تجمد في عصر في عصورنا فقد انتقلت من البدو الى الحضر واتصلت بأمم كثيرة فخلقت الفاظاً للبيئة التي انتقلت اليها وللعلوم التي دخلت عليها، فلم يختل أمرها ولم ينقص شأنها وبقيت في قوتها تجارى مذاهب الفكر والشعور ، أما أن تفسد قواعد نحوها وتصريفها فهذا أمر لا يرضى به احد يملأ قلبه حب اللغة والحرص عليها .

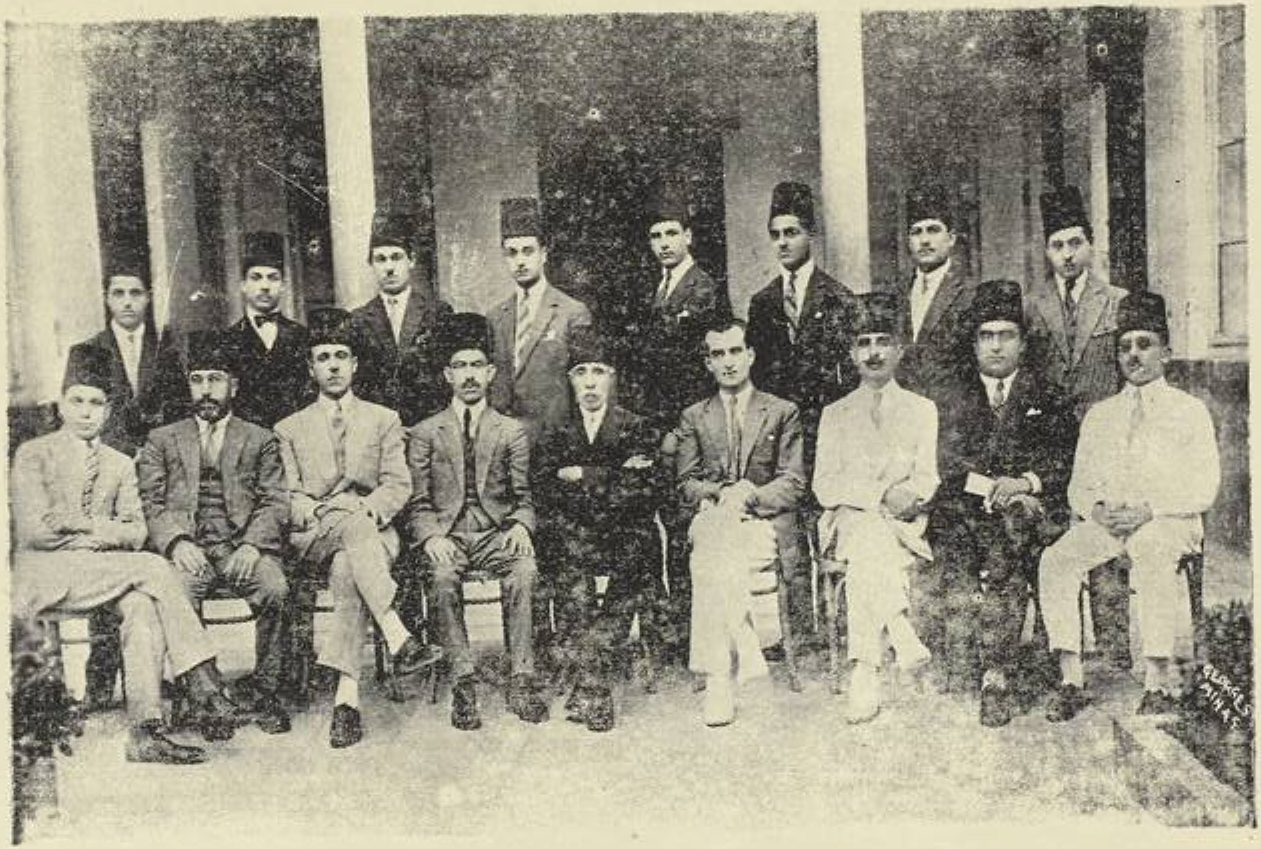
اني أمر في بعض شوارع واشنغطن فاجد اعلانات على ابواب المخازن والدكاكين ، منها اعلانات على هذا الشكل : (هذا المحل مفتوح في الليل) ، فهم يكتبون كلمة الليل كما يلفظونها فهذه الكلمة تكتب في اللغة الانكليزية على شكل وتلفظ على شكل آخر، انهم يكتبونها بحذف حرفين منها لا يلفظان ، فلست اعلم مصير هذه اللغة التي تتحول قواعد املائها من حين الى آخر. لقد فتح مرة في فرنسه باب اصلاح الاملاء ، فنهض الكتاب بجملتهم وكتبوا المقالات الطوال في الدفاع عن اللغة والحرص على خصائصها ، وقالوا : إن الانسان قد يتحمل تبديل ماله صلة بالعقل، اما الذي له صلة بالعاطفة فانه لا يحتمل تبديله، ولما كانت اللغة من امور العاطفة

أغلقوا باب اصلاح الاملاء فبقيت الفرنسية على حالها ولم يدخل الضيم عليها .

فالذين يحاولون نقل اللغة كل يوم من شكل الى شكل مرة باسم التبسيط ومرة باسم التطور يصيرون باللغة الى الفساد ولا ريب في ذلك.

من هذا كله نعرف فضل الاستاذ سليم الجندي في دفاعه عن اللغة فاذا ذكرناه اليوم واثنينا عليه فانما نذكره ونثني عليه لانه آخر امام من ائمتها في هذه الديار، تغمده الله برحمته .

واشنطن /١١/ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ شفيق جبوي



صورة تذكارية لأساتذة التجهيز ودار المعلمين بدمشق مع خريجي دار المعلمين لسنة ١٩٢٩
ويرى الفقيد الثاني من اليسار بين الجلوس

كلمة الاستاذ الدكتور جميل سلطان مدير التجهيز الاولى

في ذكرى الجندي

اذا كان واجب الوفاء هو الذي جمع الشمل في هذا الحفل الكريم وأنطق الالسنة بالحديث القويم ، في ذكرى شيخ من شيوخنا الخالدين على الدهر ، فإن ذكراه لدي ، تقترن بذكرى شيخين آخرين كان لهما الفضل على جيلنا الذي يؤدي امانة اللغة والأدب ، وهما الشيخ محمد الداوودي ، والشيخ عبد القادر المبارك ، تغمد الله الجميع بالرحمة وأوسع لهم في الجنان ، جزاء ماصنعت ايديهم للغة والادب ، وماخلفوا من فضل على الايام .

عرف جيلنا في الشيوخ الثلاثة : الجندي ، والداوودي ، والمبارك وفي غيرهم ممن درج الى الرحمة كالاستاذ كرد علي ، وممن ندعو ان ينسىء الله في اجله كالشيخ المغربي ، عرف جيلنا في هؤلاء ، ذادة عن العلم في عصر قل فيه الانصار ، وحماة عن اللغة في زمن حاربها فيه الاستعمار ، عرفنا في هؤلاء دعاة الى الارث الموروث والكنز الدفين مما خلف الغابرون ، وأدلاء على الخير المنشود والمجد الموؤود ، مما ترك

العباقرة الاولون .

عرفنا فيهم الرواد العظام ، يمهدون للأجيال المقبلة سبيل المعرفة الصحيحة ، ويستثيرون الهمم الناشئة لاستخراج دفائن المخطوطات ويهيبون بالعقول المنفتحة ان تنتفع بلآلىء الاعماق من اللغة والادب ، وألا تقنع بالوقوف على الشاطىء ، وبالزبد الذي يذهب جُفاء .

كان هذا الرهط العظيم في لغة السطحيين : جماعة التعقيد ، وفي لغة اشباه العوام : حملة القديم المحافظين عليه ، وفي لغة الخائرين الكسالى : أرباب التعب والارهاق .

كذلك كانوا في اللغات الضالة ، معقدين ، محافظين ، مكدودين ، أما التعقيد فلأن كلامهم يرتفع عن الهلهلة الى صفاء العربية وفحولتها ، واما المحافظة فلأنهم يستثمرون حقيقة العبقرية التي ورثوها عن أئمة البلاغـــة والقول ، واما الكد فلأن العلم الضحل لا يتصل بالمعرفة الحقيقية بسبب .

فما أجلها صفات تحمل من شيوخ ، ويتصف بها من نذر النفس للغة تتمثل فيها عبقرية العروبة والاسلام ، وما أدري كيف يؤيد العروبة او يفخر بالاسلام من لا يرى لزاماً للغة والأدب عمق التفكير وسلامة التركيب ، والجد في الانتاج .

تلك هي بعض الصفات الكريمة التي احبها شيوخنا الغابرون ، وتفانوا في سبيل ارسائها في النفوس ، لم يثنهم عن ذلك مرض ولا تعب ولا تقدم سن ، حتى دخلوا بها الى اعمق القلوب ، وان أنس لا انس شيخنا الداوودي — رحمه الله — وقد زرته في رفقة ممن قد يستمع الي الساعة ويذكر الحادثة ، وكان في فراشه الذي أشفى منه على الاجل ، فابتسم لنا وسألنا عما غمض علينا من مباحث البلاغة ، فأرسلت كلمة قصدت بها الى دقة البلاغيين الاولين ، فاذا بالشيخ يومىء الى من كان يقوم على خدمته أن يعمده بالوسائد ، فجلس وانبرى عليه رحمة الله يشرح ماظن أنه مغلق علينا ، واخذ يتصبب عرقاً ، فقلت أعفنا من العلم الساعة عافاك الله فقال : لا ، حتى لايخفى عليكم علم بسطته لكم من قبل .

وكان الشيخ المبارك — رحمه الله — اذا عرف حلقتنا الصغيرة تجتمع في الدار ايام الدراسة في كلية الآداب قصد اليها ايحل مايكون قد أشكل علينا من مغاليق اللغة .

وكان الاستاذ الجندي — أوسع الله له في الجنان — يستطيب ان نقف له بعد الدرس المجهد ، أو ان نقصده في منزله وقت راحته نسأله عن المصادر الموثوق بها المعتمد عليها ، وما هو الا قليل حتى يرجع

السائل بأسماء العشرات من المؤلفات ، وربما عين له الاستاذ فصولا يجد فيها مايريد ، وكان اذا سئل عن المسألة اختلف فيها المختلفون ، ورجح المرجحون ، شرحها وذكر غاية ماانتهى اليه التأليف فيها ، فاذا رجع المرء الى المصادر التي احاطت بالمسألة لم يجد زيادة في شيء .

وكان مما يتميز به الاستاذ الجندي - رحمه الله - في عالم التدريس التتبع والاستقصاء ، واذا كانت هذه الصفة غالبة عليه في حياته العلمية والادبية - كأديب وعالم - فهي في حياته التدريسية من اظهر الصفات ، وكانت كتبه التي يعتمد عليها في التدريس مملوءة الحواشي ، ليس فيها موضع لكلمة ، ولما اضاف اليها صفحات ملئت بالفوائد والشوارد ، تكونت لديه مؤلفات قيمة مثل كتابه عن امرىء القيس ، او النابغة ، أو ابن المقفع او غيرهم .

وكان كثير المناقشة والتمحيص للاخبار ، يحكم فيها منطقا صائبا وعقلاً راجحاً ، وذكاء نافذاً ، وكم من خبر نفاه ، وحادث انكره ، معتمداً في ذلك على المقدمات المنطقية العلمية وما احسب ان عالما يحتاج الى مثل هذا الصنع كعالم الاخبار والروايات ، وكان في محاضراته يؤثر الايجاز على التطويل بحيث يكون البحث ملخصاً في صفحات ، ولو تناول غير الاستاذ ما كتب لامتد به نفس القول .

فكأنما عرف الاستاذ رحمه الله حرج الناس بالزمن ، ورغبة القوم في الانتفاع باكبر نصيب من المعرفة في اقل قسط من الوقت ، فاذا تهيأ للمرء أن يقف على ما كتب الاستاذ توافرت عنده الفوائد الكثيرة في الزمن القليل .

وكان مما يتميز بـه في التدريس الوقار والجد ، فما كان يتبذل في حديث ولا يميل الى عبث ، ولا يرغب في هزل ، الا أن تعرض نادرة ادبية رفيعة فيها متعة واستجمام ، فقد كان يقذف بهـا تلطيفاً للجو الصارم ثم ينطلق فيما كان فيه ، والذين يعرفونه في مجالسه الخاصة كانوا اكثر استمتاعاً بأحاديثه ، وأشد طرباً لنوادره التي لا تنفد .

كان اذا اعتلى المنبر وانفرجت شفتاه ببليغ القول لم يقف ولم يتردد كالنهر الهادىء العميق ، تنتفع بخيراته وآلائه ، وتنسى ان تتساءل عن ينابيعه ونهاياته ، فكانت طريقته في الالقاء تقريراً كاملاً ، الا أن يعمد الى النقد والمناقشة واظهار المحاسن الدفينه في النص فقد كانت الطريقة اذ ذاك استقراء تاماً واستنتاجاً كاملاً ، فاذا كان الأمر في معالجـة الكتابة حرص على الجزالة في الكلم والفحولة في الاسلوب ، اذ لم يكن يكره شيئاً كراهيته للمهلهل من العبارات والضعيف من التراكيب ، والشاذ من اللغة ، وكان ينصح دائماً بالرجوع الى صفاء الكتابة الاولى

ويوصي بعقد ابن عبد ربه، وكامل المبرد، وأدب ابن المقفع وما اشبهها،
وبذلك ارتفع اختياره لكتب المطالعة والتدريس عن المستوى العادي،
وكانت طريقته في تخير الموضوعات الادبية دقيقة عميقة، فما كان عن
الشعراء والادباء فصبغة التأليف والاستقصاء والمناقشة احب اليه، وما
كان انشائياً خالصاً فصبغة التوجيه والتنبيه أحب.

ارأيتم ايها السادة الى استاذ يدخل صفه ايام الاستعمار الغاشم،
والبلاد تمسح الدموع والدماء بعد القذائف المتطايرة على الغوطة،
المتناثرة على احياء دمشق، ثم هو يطلب الى تلاميذه ان يعكفوا على
كتابة موضوع في حطاب جبار، دخل غابة واخذ يعمل فيها بفأسه
تحطيماً وفساداً حتى ضجت الاشجار، فاجتمعت تتذاكر في شأن هذا
الغريب القاهر، فقالت شجرة منها: إن هذا الظالم لا ينالنا بكفه،
ولكن في يده حديدة غريبة عنا مثبتة بغصن من اغصاننا، فلنحزم امرنا
على الا يكون في يده منا ما يساعده على قهرنا واذلالنا.

أو لم يكن هذا كافياً ليغرس في نفوس الشباب كراهية الاجنبي
ومن يعمل بين يديه في سبيل مصالحه الغريبة عن الوطن.

على مثل هذا كان يعتمد الاستاذ رحمه الله في التوجيه والتنبيه وكان

الاستشهاد بالشعر والامثال والروائع القديمة مما يحرص عليه أشد الحرص حديثاً وانشاء، وكان يغترف لهذا من بحر لا ينفد وثروة ماتظن أن لها غاية تقف عندها .

والجبع يعلم ان المعري كان احب الادباء اليه ، يحفظ من نصوصه مالا يحفظه سواه ، ويستشهد باقواله في كل معرض ويضرب به الامثال على العمق في التفكير وفحولة الاسلوب ، ويتخذ من كلامه مادة للنقد وعدة للبلاغه .

وأذكر انه عمد في آخر ايامه الى شرح ماأعرض عنه الشارحون من رسالة الغفران فتجشم في ذلك من الصعاب مالم يتجشمه سواه ، وقد أعانه عليه شغف في العلم شديد ، مع طول أناة وسعة صدر و كثرة حلم .

أيها السادة

هذه صورة صادقة لمدرس خالد ، مرت به اجيال الشباب فاغترفت من حياضه ، وحملت منه أطيب الذكريات وأسماها .

فإذا كان بريق الدنيا يلتمع حيناً من الدهر لمن أوتي القوة والحكم، وكانت زخارف الوجود تتلألأ لمن بسط له الجاه والتأييد فإن صفحات الخلود لا تشرق بغير اضواء المعرفة الخالصة ، والخلق

الرضيّ ، والخير المبذول

ومن حق بهذه الصفات من رجل كان ملء النفوس علماً وادباً ، وخلقاً وفضلاً .

تغمده الله بالرحمة ، وأوسع له ولصحبه في جنات النعيم .

في ٣ / ١٢ / ١٩٥٥ .

جميل سلطان



مجلس المعارف الكبير يتوسطه وزير المعارف حينئذ المرحوم الاستاذ محمد كرد علي سنة ١٩٢٨
يُرى الفقيد تحت الاشارة من اليمين الصف الثالث

كلمة الاستاذ محمد المبارك
من عمدة الكلية الشرعية سابقاً

في مقدمة هذه القافلة التي نسير في ركبها وجوه ثلاثة أغذت السير حتى غابت عنا واختفت في سحابة الغيب وغيابة القدر واحداً بعد واحد فلا نحس لها اليوم ركزاً اللهم الا ما تدبض به قلوبنا من عواطف وما خامر ذرات تفكيرنا من شعاع علمهم ونور معرفتهم نحن أبناء هذا الجيل من أهل هذا البلد .

لقد كان ثلاثة شيوخ اللغة والادب في بلاد الشام واساتذة الجيل الذي منه كثير من ادباء العصر الحاضر واساتذة الجامعة ورجال الفكر .

وكان آخر هذه الوجوه اختفاء استاذنا المرحوم السيد سليم الجندي الذي تجمعنا اليوم ذكرى تأبينه وذكرى خدمته للعلم ولأبناء هذا الوطن وقد سبقه بالامس القريب المرحوم الاستاذ محمد البزم ، وتقدمهما استاذي ووالدي الشيخ عبد القادر المبارك .

لقد كان الثلاثة اساتذتنا في مدرسة التجهيز يوم كانت معقل النضال الوطني ومعقل الثقافة العربية في تلك الايام التي كان الصراع فيها بيننا وبين المستعمر ، وبين الثقافتين العربية والاجنبية ، وكانت احدى المدرستين الثانويتين النامتين في سورية فكان يؤمها الطلاب من جميع المحافظات

السورية تقريباً فتصهرهم بروحها وثقافتها . وكان فيها الفحول من الاساتذة في روحهم ووطنيتهم وفي علمهم وثقافتهم، وكان تلاميذ التجهيز اذ يستمعون الى هؤلاء شيوخ العربية الثلاثة كأنما يستمعون الى الاصمعي وأبي عبيدة وابن سلام . اني ما عرفت الاستاذ الجندي يوم كان موظفا في وزارة الداخلية يتولى فيها كتابة الرسائل وهو اللغوي والكاتب البليغ منذ عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٢٤، وقد كنت يومئذ حدثا صغير السن، ولكن عرفته بعد ذلك حين اصبح في عام ١٩٢٤ استاذا في مدرسة التجهيز وكان صديقا لوالدي كثير الاجتماع به، يجمعهما المجمع العلمي العربي، تحت قبته وفي أروقته في جلسات علمية يتدارسان فيها موضوعا من موضوعات اللغة او يشتغلان مع بعض زملائهما في تصحيح مخطوط قديم.

لقد كان رحمه الله هو ووالدي الاستاذين اللذين تلقيت عنهما لغة العرب وادبهم، غذياني بلبانها ولقناني حبها حتى غدت جزءاً من قلبي ولبي . ولا زلت اشعر امام ذكراهما شعور التلميذ الصغير امام استاذه الكبير، ولم يكن ذلك عن هوى في نفسي يميل بي اليهما وهما استاذاي واحدهما والدي، ولا عن تخيل يدفعني الى تجسيم الحقيقة، ولكن على يقين انهما بلغا في اللغة منزلة لم يبلغها في بلاد العرب جميعها في هذا العصر الا افراد

نوادر ولم يجاوزها احد من علماء هذا العصر المنصرم .

وائن كان والدي رحمه الله سريع البديهة واسع الرواية راسخ الملكة في لغة العرب وتراجم الرجال ؛ فلقد كان الاستاذ الجندي أكثر إنتاجا وأجلد على التأليف وأقدر على التصنيف والجمع، هذا الى علم واسع وشغف بالتحقيق والتدقيق .

لقد درست عليه بعد ان عرفته صديقا لوالدي وانا صغير ، سنين عديدة في مدرسة التجهيز حيث كان يدرس اللغة والنحو والادب، ثم كان بعد ذلك استاذنا في مدرسة الأدب العليا التي كان نواة لكلية الآداب الحاضرة وكان يدرس فيها استاذنا الكبير شفيق جبري وكان مديرها، واستاذنا العلامة الشيخ عبد القادر المغربي كما كان والدي رحمه مدرسا فيها .

وكان الاستاذ الجندي رحمه الله متخصصا بتدريس النحو العالي .

وكانت الفترة التي كان فيها استاذا في التجهيز وهي تبدأ في عام ١٩٢٤ وتنتهي في عام ١٩٤٠ حين احيل على التقاعد فترة خصبة من حياة الاستاذ الكبير رحمه الله، ولا سيما السنوات العشر الاخيرة منها إذ كان انشيء نظام البكالوريا واضطر الاستاذ ان يجاري طريق التعليم الحديثة في الادب، وان يهيىء للطلاب دراسات يحتذونها ويرجعون اليها.

ومن الجدير بالذكر أن أستاذنا رحمه الله استطاع الى حد كبير ان يحتذي الطريق الجديدة في دراسة الأدباء وتحليل أدبهم وتصوير البيئة التي نشؤوا فيها والعوامل التي تأثروا بها، وعلى هذا النمط أخرج عدة كتب ودراسات قيمة عن ابن المقفع والنابغة الذبياني وامرىء القيس وأصبحت مرجعاً مفيداً للاساتذة والطلاب معاً. وفي هذه الفترة كذلك طبع له المجمع رسالة الملائكة لابي العلاء المعري التي نقحها وقدم لها، كما كتب مقالات قيمة في مجلة المجمع العلمي ومنها مايتعلق بالمعري. ويعرف تلاميذ الاستاذ وزملاؤه وقراؤه انه كان شغوفاً بالمعري محباً له مدافعاً عنه وأن اعظم انتاجه واغزره مادة هو ما كتبه عن ابي العلاء، ولا يزال مخطوط لم ينشر، اطلع الناس على بعضه حين كان ينشر بعض شذرات من بحثه أو كان يحاضر في بعض هذه الموضوعات وهو ما نرجو أن يتعاون ابناؤه الافاضل وكلهم رجال العلم والثقافة والمجمع العلمي على اخراجه للناس، فذلك من العلم الذي ينتفع به ويستمر به لصاحبه الاجر والذكر عند الله والناس.

ولقد التقيت اخيراً باستاذي عليه رحمة الله في ميدان آخر بعد أن أحيل على التقاعد مابين عام ١٩٤٤ و ١٩٤٦ فكان مديراً للكلية الشرعية ومدرساً فيها وهي اول مدرسة ثانوية نظم فيها التدريس الشرعي على

اساس جديد يجمع فيه بين الثقافتين الحديثة والقديمة في ست سنوات من الدراسة الثانوية تنتهي بشهادة عامة. وكنت يومئذ ممثلاً لوزارة المعارف في العمدة التي تشرف على الكلية، وليس الاستاذ رحمه الله بغريب عن هذا الميدان، ذلك انه رحمه الله ابتدأ حياته العلمية طالباً على الطريقة القديمة، قرأ علوم اللغة والدين على شيوخ عصره فكان رحمه الله عالما بالفقه والحديث والتفسير والاصول والكلام والمنطق وآداب البحث الى جانب اللغة والنحو والأدب، وكان يومئذ شيخا متعمما كأكثر أقرانه من علماء ذلك العصر، وكان من جملة اساتذته وشيوخه علامة عصره في الحديث وعلوم الدين الشيخ بدر الدين الحسني رحمه‌الله.

ولكن انصرافه للغة والأدب منذ توليه الوظائف والتدريس غيّب عن الناس صورته الأولى هذه، وعلى هذا فقد كان اختياره لادارة الكلية الشرعية والتدريس فيها والاشراف على اساتذتها ودروسها اختيارا موفقا لاقى محله، ولا سيما بعد ان عانى التدريس في المدارس الرسمية وعاش في جوها نحوا من عشرين سنة اطلع خلالها على مناهجها وطرائقها.

وبعد خدمته للكلية بضع سنين اعتزل العمل حين أدركه النصب فاعتكف في بيته لا يخرج الا قليلا ليلاقي بعض الظرفاء من اصحابه

الذين كان يأنس بهم او كانوا هم يدلفون اليه في داره .

ويأوي هو الى اصدقائه من قدامى الشعراء والادباء حين يخلو بكتبه واوراقه، الى ان ودعنا في ذلك اليوم الذي ناداه فيه اجله وخرجنا في موكبه نودع العلم في جلاله والادب والفضل في شخصه .

ولا بد لي اخيراً وانا اقف وقوف الخاشع امام ذكرى جلال العلم وعظمته من ان اذكر في الراحل العظيم وكثير من أقرانه من شيوخ العصر الماضي صفتين بارزتين :

لقد كان انصرافهم للعلم انصرافا عظيما وكانت طريقتهم فيه طريقة الاحاطة بفروع الثقافة كلها مما يتصل بالعلم الذي ينصرفون اليه ، وذلك بروح علمية محبة للتحقيق وبذاكرة واعية كثيرة الاستيعاب، كل ذلك بالوسائل التي كانت لديهم وعلى صعيد الثقافة التي كانت في عصرهم

هذه ناحية ، وناحية اخرى هي انصرافهم للعلم لا للشهادة ولا للوظيفة والكسب والاستاذ الكبير رحمه الله خير مثال على ذلك .

فلقد نشأ غنيا ورث عن ابيه ثروة صالحة ولم يكن دافعه الى العلم الرغبة في الكسب والحصول على وظيفة ، وقد قضى حياته في بحبوحة من العيش وسعة ، وكانت الوظيفة محتاجة اليه فجذبته اليها ليخدم المجتمع وليؤدي امانة العلم . انا اليوم نحتفل بذكرى استاذ كبير من

اساتذة الجيل ودّعنا فيه علما شامخا في الفضل والخلق والعلم، حفظ جزءا كبيرا من تراث لغتنا العزيزة وكان له في نهضتها الحديثة أثره البارز وعلى اساتذة الجيل الحاضر وأدبائه فضل مذكور.

أجزل الله ثوابه وأسبغ عليه رحمته. وسلام على الاولين من الاجداد البررة الذين شرعوا ابواب العلم وفتحوا آفاق المعرفة ونشروا في الحياة المثل الانسانية، وسلام على سليم واخوانه في الآخرين.

محمد المبارك

قصيدة الأستاذ أنور العطار

مدير ثانوية البنين الخامسة بدمشق

« سليم الجندي »

طوى الاحبةَ صدعُ البينِ فانتثروا   وخلفوا النفسَ موصولاً بها العِبرُ

فالقلبُ من بعدهم مستوحشٌ جَزِعٌ   كالغصنِ عُرّيَ منهُ الماءُ والزَهَرُ

أبكيهمُ وبنفسي من تذكرهم   رُؤًى تطوفُ بأجفاني وتنحسرُ

هيهاتَ ماصدّهم عن خاطري سفرٌ   ولا خلَتْ منهمُ الآصالُ والبكَرُ

ولا محاهُمْ من الأيامِ فاجعُها   ولا انطووا في الليالي وهي تستترُ

ظلوا نفائسَ لم تنفدْ ذخيرتُها   وللنفائس مخبوءٌ ومدّخرُ

هم الحقيقةُ لم تطمسْ معالمُها   ولا ألمّتْ بها الأرزاء والغِيَرُ

عاشوا أحاديثَ نفسي في تفرّدِها   فكانَ لي منهمُ الأحلامُ والذِكَرُ

طافوا بوادي الردى جذلى سرائرُهم   ما شانهم في الدنا بغيٌ ولا أشَرُ

كانوا النعيمَ لمن حاقَ الشقاءُ بهِ   وسُرْبِلوا بضياءِ الفكرِ واتزَروا

مرّوا كراماً نقياتٍ شمائلُهُمْ   كالنبع سالَ بعذْبٍ وهو ينفجرُ

عاشوا لغيرِهمُ بُقيا ومحمدةً   واستنفدوا العمرَ ماملّوا ولا فتروا

وأوسعوا الأرضَ إحساناً وعارفةً   وغيرُهُمْ مرَّ لا ماءٌ ولا شجرُ

أُولئكم نذروا للهِ سعيَهُمُ   فأثمرَ السعيُ وانقادتْ لهم نُذُرُ

نمضي لو اذا على النهج الذي نهجوا ... ونستدلُّ على العنبر الذي عبروا
ونقتدي بهمُ والخطبُ مُشتجرٌ ... ونستبينُ بهم والليلُ معتكرُ
ويطفحُ الكونُ من أنبائهم سيراً ... ويستطيلُ بما جادوا وينبهرُ
فهاتِ يا قلبُ عن أحبابنا خبراً ... فكم يشوقُكَ من أحبابكِ الخبرُ

* * *

«سليمُ» باحجةَ الفُصحى وموئلَها ... يا وِرْدَها العذبَ مأموناً به الصَّدَرُ
ويا كتاباً قبسْنا من صحائفهِ ... بدائعَ النَّاسِ ماصاغُوا وماسطَرُوا
ويا ربيعاً تندّى رقةً وشذاً ... فطيّبَ الأرضَ منه النافحُ العطِرُ
على خمائلهِ الأطيارُ صادحةٌ ... وفي مسايلهِ الأغراسُ والغُدُرُ

* * *

وصورةً لكَ أعليها وأكرمها ... لها الضلوعُ على رغم البلى أطُرُ
أصونُها مشفقاً ان يستبدَّ بها ... رَيبٌ من الدَّهرِ لا يُبقِي ولا يذَرُ
كأنَّما أنتَ آمالي التي غبرَتْ ... أو أنتَ لي الحلم الفينانُ والسمرُ
قدكان لي من نداكَ الصَّفْوِ مُنْتَجَعٌ ... وكان لي من نُهاكَ السمعُ والبصرُ
أريتني طُرُقَ التبيانِ واضحةً ... يسري بها الخالدانِ : الرأيُ والأثرُ
فبانَ لي الصبحُ لم يُلْمِمْ به غسَقٌ ... ولاحَ لي النَّهجُ لم يعْلَقْ به وضَرُ
وماعرفتَ سوى الإحسانِ مُرْتفَداً ... ولا استَبَاكَ إلى غيرِ العُلا وطَرُ
أتعبْتَ نفساً لغيرِ الحقِّ ماتعبَتْ ... ولا أطافَ بها همٌّ ولا كدَرُ

مازلت ليلك تطوي به على سهر — حتى تسمّر في أجفانك السهر
منقباً عن أصول القول مجتهداً — ما هدّ جنبك لا أين ولا ضجر
وما نظرت بلبّ ناقد فهم — الا استقام لك النقاد والنظر
عزيمة ملؤها الإخلاص صادقة — ماشاب إيمانها ضعف ولا خور
غبرت تملي كتاب الله مبتدراً — يصونه منك لبّ حاذق خبر
ماصنته صينت الفصحى وعصبتها — وكان للعرب منه الفوز والظفر
مسدد الرأي لم تكبهم قريحته — ولا تناهى إليها العي والحصر
تمشي الى ورده الألباب ذائبة — فترتوي ثمة الألباب والفكر
ملكت من صهوة الفصحى أعنتها — وقد أعان على استمساكها القدر
فقدتها لصباح سافر بهج — يعمه الخير والأوضاح والغرر
ليهنك اليوم أن الله سلمها — وأنها في رحاب الأرض تنتشر
وأن واديها نهلان من أمل — وأن ناديها بالسعد مزدهر
وأنها أطلعت للسالكين جنى — يبقى على الدهر لا يفنى له ثمر

* * *

ويا ضريحاً نفديه ونحرسه — أليس يرقد في أحشائه مضر
تأوي النجوم الى داراته زمراً — ويستريح على أعطافه القمر
تسري إليه مآقينا مراعية — حتى تكاد دموع القلب تبتدر
لولا التقى لتلمسنا حجارته — كما تلمس في سعي الورى الحجر

ما كنتُ أعلمُ أن القاعَ مُختَبأٌ للدُرِّ حتى تملأت منكمُ الحُفَرُ
فطابتِ الأرضُ آكاماً وأوديةً وطابَ من نشرِها الإمساءُ والسَّحَرُ

* * *

حيّاكَ من رحماتِ اللهِ أغدقُها وبَلَّ مثواكَ في تهتانهِ المطرُ
والموتُ لم ترهبِ الأحبابَ هجمتُه ولا دهى القلبَ من معروفهِ نُكُرُ
لكنّهُ نُقلةٌ بالجسمِ جاهدةٌ والروحُ ما راعَها بَيْنٌ ولا سَفَرُ
والعمرُ ماشانَهُ طُولٌ ولا قِصَرٌ وإنّما الخيرُ مبذولاً هو العُمُرُ
وما الحياةُ سوى ما شِدتَ من كرمٍ وإن تقطّرَ منها الصابُ والصَّبِرُ
سيلتقي الصَّحْبُ في الأُخرى ويجمعُهُمْ سِلكٌ من الدُرِّ لا يُوهيهِ منتثرُ
ويُؤجرون على ما قدّموا كرماً إذا الأنامُ على إحسانهم أُجِروا
ويَنعمُونَ بدارٍ لا كِفاءَ لها ما قرَّ في ساحِها إلاّ الأُلى صبروا

* * *

وأنّةٍ ليَ أُخفيها وأُظهرُها كما يئنُّ على أحبابهِ الوَتَرُ
أفضى بها الصدرُ مكلوماً يرددها حتّى عراني من ترديدها البَهَرُ
فيا معرّيُّ لا تَبْعَدْ فإنَّ لنا شوقاً إليكَ على الأيامِ يستعرُ
قريعَهُ كنتَ في علمٍ وفي أدبٍ إذا البيانُ نمتْهُ الأنجمُ الزُّهُرُ
في عفّةٍ تسعُ الدنيا وساكنَها فليسَ يُبطِرُها جاهٌ ولا خطرُ

صيغت من الحمد والتقوى دعائمها ... فهل أطل على دنياكم عمر

* * *

بحسبكم يا بني الجندي أن لكم ... تاجاً من الحمد مزهو به العصر

وأن والدكم ترب الزمان علا ... وأنتم في حواشي تاجه درر

لم يطلع الدهر يوماً عدل والدكم ... فليفخر العرب بالجندي إن فخروا

بني أبي وبنفسي الجرح جرحكم ... مالي على لذعه حول ومصطبر

حذرت أن يفجأ الحد ثان شيخكم ... فخاننا المشفقان : الظن والحذر

فهل علي اذا أنشدت في حزني: ... «خف القطين فراحوا منك أو بكروا»

* * *

مازلت أختار حر الشعر أحكمه ... وأنتقي رائع المعنى وأبتكر

وأستعيد طيوفاً من محبتكم ... نمت عليها معان وارتوت سير

حتى ظفرت بما ترضيك حبكته ... وأنت يبطر بك الإحكام والصور

فإن أصبت فسح من نوالكم ... ما انفك شؤبوبه بالود ينهمر

وإن تخلف عن مرآتكم كلمي ... وضل قصدي فقل لي كيف أعتذر؟

* * *

نم غير باك على الفصحى وشيعتها ... فالله حرز لها والآي والسور

انور العطار



المجمع العلمي العربي
ويرى الفقيد في الصف الثاني تحت الاشارة

كلمة الاستاذ علي الطنطاوي

المستشار في محكمة التميز السورية

ان من أصعب الصعب أن أقوم لأؤبن رجلاً لا اعرف عنه شيئاً واصعب عنه ياسادتي أن اؤبن رجلاً اعرف عنه كل شيء . ان اختصر ثلاثاً وثلاثين سنة في عشر دقائق، ان اجمع البحر في قطرة، والروض في زهرة، وذكريات استاذى سليم الجندي في كلمة تأبين .

لقد اقتنيتها دقيقة دقيقة، اجمعها واحصيها كل يوم، كما يجمع الشحيح فلساً الى فلس، ويحفظها، حتى اجتمع لي في صحبته ثلث قرن، فهل تروني افرط فيها ؟ لقد كتمتها سراً في القلب، ونجوى للنفس، وزادا لي في مفازات العمر، فهل اكشفها اليوم واعلنها وأبيحها كل سامع ؟

انها ذكرياتي انا، وما الحياة لولا الذكريات ؟ وان انا فعلت فمن أين ابدأ ؟

من أين؟... وما اعددت لهذا المقام كلاما، لأني ما كنت اتوقع ان أقوم يوماً فأؤبن الاستاذ سليم الجندي .

كنت اظن ان حبلي منه لن ينقطع ابداً، الحبل الذي غزلت خيوطه من مسالك اللحظات في مسارب الزمان، وكل حبل مودة الى انقطاع وكل حي الى ممات، ولكنها اماني النفوس . حتى جاءني الزميل الكريم

الاستاذ نورس الجندي من أربعين يوماً (لا كنت يا هذي الاربعون)

فقال لي، والوجه ملتاع، وفي الصوت ارتجاف : عظم الله اجرك بالاستاذ سليم! ومرّ على خاطري كل سليم اعرفه الا الاستاذ الجندي، وقلت له : من؟ قال: استاذكم سليم الجندي. وشدهت ولبثت دقيقة لا افقه ما يقول، لان هذه الكأس اكبر من ان تساغ بجرعة، ورحت اتجرعها على مهل حتى فهمتها .

فهمت انه قد مضى الرجل الذي لم يبق تحت أديم السماء من هو اعلم منه بلسان العرب: لغة واشتقاقاً ونحواً وبلاغة وعروضاً ورواية وضبطاً، ولا من هو أوفى لها واغير عليها . وانه لم يعد في ديار الشام من استطيع ان اذهب اليه انا والافغاني والعطار، كلما دهمتنا عظام المشكلات في العربية، نحملها اليه ليحل لنا عقدها .

ولم يبق في الدنيا كلها من نقول له في العربية يا استاذنا . وان علينا بعد اليوم ان نعتمد على انفسنا، كما يعتمد الضابط على نفسه حين يفتقد القائد العبقري، وسط المعمعه الحمراء. وهيهات ان يسد احد مكان قائد المعركة بين العربية والعجمية، حجة العرب، سليم الجندي !

ولم أعد استطيع أن اقول لهؤلاء الاخوان، وللزركلي والجيرودي كلما رابنا ريب الحياة، وشجانا ريف المودات، وفقد المروءات، هلم إلى

الجندي نجد عنده مثل الذي يجده الغريق حين ترفعه يد المنقذ الى طلق الهواء.

لقد تحققت ان سليم الجندي مات، فاحسست كأن قد زاغ بصري وزلزلت اعصابي، ومر في اذني نهر هدار. لا تظنوا اني ابالغ أو اتخيل خيال شاعر. لا وما أنا بالشاعر، وما صناعتي نسج التهاويل. ما أنا الا مصور يحمل آلته يطوف بها، يصور مشاهد الحياة، وخطرات النفس، مصور فطوغرافي مسكين ينقل صوره نقلاً، ولست المصور المبدع الفنان الذي يحمّل لوحاته ما لم يكن ولا يكون. مخلوق يدب على أرض الواقع على حين يضرب الشعراء امواج الجو باجنحة النسور، وليست هذه هي الصدمة الاولى لقد عراني مثلها مرات من قبل.

عراني يوم مات أبي وكان لي أباً وكان لي معلماً كما كان للعشرات من أكبر رجال هذا البلد اليوم. وما امدح أبي، وهل قمت هذا المقام للفخر؟ ولكني اقرر احدى الحقائق. ويوم مات شيخ الشام واستاذ كل متعلم فيها، ممن هم اليوم فوق الاربعين الشيخ عيد السفرجلاني. ويوم مات اذكى انسان عرفته لا استثنى احداً ابداً استاذنا مسلم عناية. ويوم مات الاستاذان الحبيبان عبد القادر المبارك وعبد الرحمن سلام.

اولئك رجال بكيتهم كما بكيت الاستاذ الجندي بدموع قلبي.

وهل تستكثرون عليّ ان انضح بالدمع قبور رجال هم ملؤوا قلبي بالعاطفة الّتي ينبع منها الدمع ؟

وهم غرسوا فيه دوحة الحب التي من ثمارها الوفاء ؟

وهل كان أولادهم الذين خرجوا من اصلابهم احق ببكائهم مني ؟

لقد صرمت في صحبة الشيخ عبد القادر المبارك مدة أطول من كل ما عاشه في الدنيا نصف ابنائه ؟

لقد عرفت من عبد الرحمن سلام ما لم يعرفه أهله وأولاده ؟

لقد كنت لهؤلاء اكثر من تلميذ بل (ودعوني أقلها) لقد كنت لهم اكثر من ولد .

التلميذ تلميذ ما دام المعلم على منبره، فان نزل المعلم عن المنبر، وخرج التلميذ من المدرسة، سار كل في طريق، فلم يعد بينهما الا ذكرى أيام مرت ولن تعود .

والولد يرى في ابيه العبقري مظاهر انسانيته التي يشترك فيها الناس جميعاً، فتختلط بمظاهر العبقرية التي يمتاز بها عن الناس جميعاً، ومن هنا قالوا : ازهد الناس في العالم أهله وجيرانه .

والمريد لا يرى منه الا الجانب العلوي الخالد لذلك تخلد صلته به ابداً وتعلو .

والولد يشارك أباه طعامه وشرابه. والمريد يشاركه فكره وشعوره.

والولد يرث عن أبيه ماله، والمريد يرث علمه.

لا أعني اولاد الفقيد الجندي، فهم جميعاً من النابغين النابهين، ولكن هل يزعمون أنهم احق باللوعة عليه مني؟ هل كانت الصلات بين شيخ الادباء وبين انجاله الاطباء اقوى من الصلات الفكرية بينه وبين تلميذه الاديب؟ وهل ما يمتون به من صلة النسب امتن في مقاييس الخلود مما امت به من صلة الادب؟

عفوكم يا سادة عفوكم. لقد تركت طريق موضوعي لاني ابصرت رياض الذكريات تلوح لي عن يمين وشمال، فلم اتمالك ان تنكبت طريقي لأقطف منها وردة أو زهرة، أو أعواد بشمّة من رياها وعطرها، وسارجع الى هذا الذنب مرات في هذا الخطاب.

ولكن هل لكلمتي هذه موضوع؟ ان موضوعها ذكريات ومتى حصرت الذكريات أرقامُ الحاسب واشكالُ المهندس؟ ذكريات وهل في الحياة امتع من التعلل بكأس الذكريات، والنشوة بخمرة الاماني؟

وانا أعلم ياسادة ان أثقل الكلام في ميزان الاذواق كلمة (انا)، ولكني مضطر الليلة اليها. لان الذكريات لا بد فيها من ذاكر، فكيف انشر المطويّ من ذكرياتي، ان اغفلت ذاتي؟ ايذنوا لي ان اعود الى مواضي

أيامي الى عهد الدراسة الابتدائية، يوم كان يحكم دمشق الرجل المرعب جمال باشا، وصحبه الاتحاديون الملحدون، وكنا نحفظ الاسماء التركية نسردها كل صباح سردا بلا فهم ولا علم، وكنا نقرأ النحو العربي بالتركية على المعلم التركي، وكان التركي هو اللسان الرسمي للبلاد، يخاطب الحاكمون وينشد اغانيه المنشدون. لقد حسب الاتحاديون انهم بهذا يقضون على العربية ويرثون امجادها، ويدعون لانفسهم مكارمها. أرأيتم الصبي الهزيل يلبس ثوب العملاق؟ أأبصرتم الاحمق الذي يلصق بالصمغ ورقة على وجه ابي الهول، عليها اسمه ليصحح خطأ التاريخ، ويثبت انه هو الذي نحت ابا الهول، هذا هو مثال الاتحاديين الذين ظنوا انهم بلغة ملفقة محدثة، وبعثة قصيدة وقصة، وبالسيف المصلت على أعناق العباد، يستطيعون ان يقتلوا اللغة التي كانت معجزة العبقرية الانسانية، لانها لم تنشأ كاللغات فالتاريخ يعرف طفولة كل لغة وشبابها، ويعرف تدرجها في طريق الكمل أما العربية فلم يعرفها التاريخ الا كاملة مكملة، لانها اسن من التاريخ! ولكن مالي وما لهذه التفاصيل الآن؟ حسبكم ان تعرفوا اننا كنا في اواخر هذا الليل الذي خاضت حندسه العربية، وكانت تتخبط فيه في مسراها على غير هدى، لولا من حملوا لها المصابيح تحت أطباق الظلام اولئك الاعلام من رواد هذه النهضة الجديدة.

وعلى ضوء هذي المصابيح وضح للسارين الدرب فسار الركب وكان الفجر قد حل ، ولكن سحابة الاتحادين كانت تحجبه عن العيون (قلت الاتحاديين ولم أقل الاتراك) فلما انزاحت السحابة ملأ الافق نور الفجر . ونشرت رسائل وكتب ، والقيت خطب ومحاضرات ، وكان النادي العربي ، ومن عجب ان قام النادي العربي امام اوتيل فيكتوريا حيث كان ينزل جمال السفاك ، وعرفنا لأول مرة ان في الدنيا أدباً عربياً ، وشعراً عربياً ، وخطباء يخطبون في غير المساجد ، ومن غير ديوان ابن نباتة المرتب على الشهور والاسابيع ، الذي كان يحفظه السامعون من المصلين ، مثلما كان يحفظه الخطيب . ومرت أيام ، ودفن الاستقلال الوليد في وادي ميسلون ، ولكن النهضة بقيت عائشة ، ولبثت تسير قدماً حتى اثمرت مجلة الرابطة الأدبية التي صدر العدد الأول منها في ١ ايلول ١٩٢١ . وكان والدي من المشتركين فيها ، فكنت اقرؤها واني قرأت قبلها كتباً من كتب الأدب القديم ، ثقفت المعوج من بياني وقومت لساني ، فان أول ما قرأته من الأدب الجديد على الاطلاق هو مجلة الرابطة .

ورأيت بين كتابها كاتباً ظهر لي من بحثه ، ظهر لي وانا في تلك السن - صدقوني - انه من وزن آخر ، وانه ارجح واوقر ، وانه كان يمسك هو عفاتيح القاموس ، ويمتلك كنوز اللغة ، فهو يعطي الالفاظ للادباء ، يقولون

وهو يهذب مقالهم، ويكتبون وهو يصحح كتابهم ، فصورته كاستاذ بين تلاميذ بارعين، ثم رايت صورته فصدق النظرَ التصور، لاني رأيتهم شبابا ورأيته كهلا بينهم، بصلعته وهيبته ولحيته، او تخليته كهلا، وكانت هذه هي اول مرة سمعت فيها باسم الجندي .

ومن مباحث الجندي في (باب تهذيب الالفاظ) في الرابطة تعلمت ان في الدنيا شيئاً اسمه علم اللغة والتحقيق اللغوي .

وكانت المدرسة السلطانية الثانية التي كنا طلابها فيها على عهد الشريف قد الغيت، وذهبنا الى مكتب عنبر، الثانوية الوحيدة في دمشق وهناك عرفنا الاستاذ سليم مدرسا، وقعدنا بين يديه تلاميذ .

ولكن هل اقفز قفزا الى حديث الاستاذ ؟ الا احدثكم عمن علمّنا قبله؟ وعن سلفه الشيخ عبد الرحمن سلام ؟ وعن الشيخ عبد القادر المبارك؟ أيقف شعراء العرب على حفرة طمستها الرياح ، وحجارة سودتها النار ويبكون على اثار الخيام، ولا اقف عند ذكرى الرجلين اللذين لولا هما ولولا الجندي، ماعرفت، ولا عرف المطار والمبارك والمحاسني والكرمي والافغاني والجيرودي وسلطان وجمال الفرا ووجيه السمان كيف يكون تأليف الكلام ؟

امنحوني دقائق احيي فيها من منح هذه العربية حياته كلها ، ومن اعطى الشام هؤلاء الذين تعتز بهم اليوم من شعراء وخطباء وكتاب .

لما دخلنا مكتب عنبر يا سادة، وجدنا في درس العربية مفاجأتين: رجلين من نوادر الرجال، ولقد قلت مرة، ان الرجل المهذب الاجتماعي كالنسخة المطبوعة من الكتاب منها الاف، والاف، اما امثال المبارك وسلام فكالنسخ المخطوطة،قد يكون فيها خرم او غموض ولكنها اثمن من كل مطبوع، لانها مفردة ليس لها نظير.

اما الشيخ عبد الرحمن سلام، فما رايت وما اظن انى سأرى من هو اطلق منه لسانا، واحلى بيانا، لقد كان عجبا من العجب اذا احتاج ان يتكلم في موضوع لم يكن عليه الا ان يفتح فمه، ويحرك لسانه، فاذا المعاني في ذهنه، والالفاظ على شفتيه، والسحر من حوله، والانظار متعلقة به، والاسماع ملقاة اليه، والقلوب مربوطة بحركة يديه، وكان يرتجل الشعر كما يرتجل الخطب، وكان يرمي الكتاب (كتاب النحو) لا يباليه ويتكلم من اول الساعة الى آخرها، في اللغة وفي الادب وفي كل شيء. كان يريد ان يربينا على السليقة العربية بالمحاكاة والمران، وينفخ فينا من سحره ليجعلنا ادباء قبل الاوان.

واما المبارك، فما رايت وما اظن اني ساري مدرسا له مثل اسلوبه في الشرح والبيان، وفي امتلاك قلوب الطلاب، وفي نقش الحقائق في صفحات نفوسهم بهذه الضوابط المحكمة العجيبة التي تلخص في جمله

واحدة بحثا من البحوث .

وكان يعلمنا الفقة ؟ ماذا قلت ؟ الفقة ؟ هذا هو اسم الدرس في عرف المدرسة أما الدرس في حقيقته ، فكان فقها وتفسيرا وحديثا ولغة وشعرا واخبارا ، وما شئت من كل نافع مفيد وكل طريف جديد .

وكان الاول هو الذي جرأني على امتطاء صهوات المنابر ، ومقارعة الفرسان في ميادين البيان ، وكان هو الثاني الذي اخذ بيدي فاطلعني على كنوز الثقافة العربية، وطبع نفسي بطابعه، حتى لاستغرق احيانا في الدرس فاذا بي اتكلم بلسان المبارك ولهجته ، واتحرك مثل حركته والطلاب ينظرون مدهوشين ؟

وفي يوم من ايام سنة ١٩٢٣ ، دخل علينا الشيخ عبد الرحمن سلام ولكن لا كما كان يدخل كل يوم، والقى خطبة، ولكن لا كما كان يلقي ، دخل حزينا ، والقى خطبة الوداع ، وذهب وذهبت معه قلوبنا .

وجاءنا مدرس جديد،فقعد على الكرسي، وما كان الشيخ ليقعد عليه ابداء، وفتح كتابه يقرر الدرس بصوت خافت، وكلام لا يكاد يسمع .

وكان الافغاني الى جنبي فقلت له : من هذا ؟ قال آسفا : هذا والد سيدنا..واشار الى نجم الدين ، قلت : الاستاذ سليم الجندي ؟ قال : نعم .

أهذا هو الاستاذ سليم الجندي ؟ أهذا الذي اعجبت به لما قرأت له في مجلة الرابطة ؟

يا ضيعة الاماني ، ويا حسرتا على استاذنا الذي اضعنا ، على الشيخ سلام. سلام على سلام.

بل سلام على العربية ، لقد زهدت فيها وعزفت عنها ، وعزمت لاتوجهن بالاهتمام الى درس آخر .. من دروس المدرسة . مالي وللعربية وهذا مدرسها ؟ مدرس لا يخطب ولا يرتجل الشعر ، ولا يتلاعب بمهج السامعين ؟! ومر بي الدور . فاخرجني الاستاذ فاقامني على اللوح . واملى عليّ بيتين للمعري وقال: اقرأ وفسر واعرب . فانطلقت كما علمنا سلام ، انطلقت اخطب في موضوع البيتين ، خطبة حماسية مجلجلة ، فاذا بالاستاذ يبتسم ابتسامة احسست كأنها سكين في قلبي ، وكأنها دلو ماء القي على جمرة حماستي ، وقال : بعدُ بعدُ ، فسر اولاً معاني الكلمات الغريبة .

ووقفت ، كما وقف حمار الشيخ في العقبة . وسألني عن دقائق الاعراب ، فوقفت وقفة اخرى .

قال : ارأيت ؟ اتبني الدار قبل نحت الحجارة ؟

ورأيتني حقا ابنى الدار قبل نحت الحجارة ابني دورا في الهواء!

وصغرت عليّ نفسي بقدر ما كبر الاستاذ .

وعدت ابدأ قراءة النحو والصرف من جديد ، وكان الكتاب الذي

نقرؤه، قواعد اللغة العربية الجزء الرابع من الدروس النحوية لحفني ناصيف واصحابه، وهو كتاب يغني المتأدب، بل الاديب عن النظر في كتاب غيرة،وهو اعجوبة في جمعه وترتيبه وايجاز عبارته، واختياره الصحيح من القواعد، وهو اصح واوسع من شذور الذهب ومن ابن عقيل التي كنت أقرؤها على استاذيَّ الجليلين الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ صالح التونسي.

وعكفنا عليه، وملأنا حواشيه البيض، ثم الحقنا بين صفحاته صحائف نملؤها بفوائد الاستاذ وشواهده وزياداته، وعرفنا يوما بعد يوم، مقدار النعمة التي انعم الله بها علينا، حين جعلنا تلاميذ الاستاذ سليم الجندي.

وكنا نفاخر اخواننا الذين يقرئهم الشيخ الداودي، ونأتي بالمعضلات، والصعاب نتصيدها من كتب الادب وافواه العلماء، فنطرحها عليه، فنحظى باجمع الجواب بلا مراجعة ولا كتاب، ويرجعون هم بلا جواب.

وما انتقص الداودي رحمه الله، فلقد كان معلما فاضلا، وكانت له اخلاق، اعطر من زنبق الحقل، واطهر من ثلج الجبل. وله قلب من الذهب، ولكنه لم يكن من بابَةِ الجندي. ان الذهب ذهب، ولكن ان قابلته بالجوهرة المفرده وارى بريقه حياء.

واحببت الاستاذ الجندي حب الولد اباه ، وعرفت قدره ، فكنت لا اكف عن سؤاله ، اسأله في الصف ، والحقه في الفرصة ، وادخل معه غرفة المدرسين ، اشرب من معين علمه ولا ارتوي ، اتزود من هذا العذب لسفري الطويل في صحراء الحياة ، اسأله عن الغريب ، فلا تغيب عنه كلمة منه ، كأنه قد وعى المعاجم وغيبتها في صدره ، واسأله عن التصريف والاشتقاق ، فيجيب على البديهة ما يعيي العلماء جوابه بعد البحث والتنقيب ، واسأله عن النحو ، فاذا هو إمامه وحجته ، وألقي عليه بالبيت اليتيم وجدته في كتاب ، فاذا هو ينشد القصيدة التي ينمى اليها ، ويعرف بالشاعر الذي قالها .

لقد كان مدرسا للعربية ، ولكنه كان اكثر من مدرس . وكان عالماً من علماء البلد ، ولكنه كان اكثر من عالم ، ورب مدرس لا يكون عالما ، ورب عالم لا يكون عالماً الا في بلده ، وبين اقرانه ، ورب عالم لا يكون عالما ، الا بالنسبة الى عصره وزمانه .

اما الجندي ، فقد كان اعلم علماء العربية في هذا العصر وكان واحدا من اعلام العربية الاولين ، ولكنه ضل طريقه في بيداء الزمان ، فجأة في القرن الرابع عشر الهجري ، لا في القرن الرابع .

اقرر هذا ، بعد ما مشيت في البلاد ، وجالست العلماء ، فما ثمّ عالم مشهور في العربية ، في مصر والشام والعراق والحجاز والهند والملايو

واندونسيا الا عرفته . عرفت في مصر ، علماء الجامعة المصرية وعلماء الجامع الازهر ، والادباء والكتاب ، وانا اؤكد لكم القول ، اني لم اجد فيهم من يفوق في حفظه ، وضبطه ، وامانته ، وملكته ، الاستاذ الجندي .

وكشفت فيه يوما بحر علم آخر ، لم اكن اعرفه من قبل .

سألته عن مسألة من الدين ، فاذا هو فقيه اصولي ، يروي الحديث ويعرف المقالات ، ومن هنا ، من هنا يا سادة ، جاء حفاظه على اللغة ، ومعرفته بقدرها ، وغيرته عليها ؟ لقد كتبت مرة ان انكليزي القرن العشرين يقرأ ادب انكليز القرن السادس عشر فلا يفهمه الا بترجمان . ونحن نقرأ شعراً عربياً من الف واربعمئة سنة فنفهمه كما نفهم شعر شعرائنا اليوم ؟

فمن اين للعربية هذه المزية ؟

وكيف ثبتت العربية برغم النكبات الثقال التي مرت بها ؟ كيف عجزت الدول التركية والفارسية التي تعاقبت على بلاد العرب ، من ايام الواثق عن ان تقضي عليها ؟ بل كيف استطاعت هي ان تقضي على عجمتهم ، وتدخلهم تحت لوائها ؟ وما هو السر في قوة العربية وثباتها ؟

ان السر في هذا الحصن المتين الذي حصنها الله به : القرآن ياسادة ، القرآن .

وهذا هو سبب نبوغ الجندي ، حتى كان امام العربيه وهو ابن عصر ، حاول الاتراك ان (يتركوا) فيه كل عربي .

السبب ، معرفة الجندي ان (العربية لغة القرآن) وان من اراد ان يكون اماما فيها ، فليكن خادما للقرآن واست انا الذي يقول عنه هذا ، بل لقد قاله هو بلسانه .

قال في العدد الاول من مجلة الرابطة الادبية ، في مقدمة باب تهذيب الالفاظ :

« منيت اللغة العربية ، بضروب من النكبات ، لو انزلت على جبل شامخ لتصدع ، ولو اصاب غيرها من اللغات ، معشار ما اصابها منها ، لعفت رسومها ، واندرست معالمها ، ولكن الفضل في سلامة هذه اللغة الكريمة ، ونجاتها من براثن الفناء والموت ، يرجع الى القرآن الكريم »

وقال بعد قليل :

« وغايتنا ، ارشاد الالسن والاقلام ، الى مواقع الفصاحة والصواب ، وصرفها عن مظان الغلط ووجوه الركاكة ، ولسنا نزعم في كل ما نكتبه السلامة من الزلل والعثار ، لان العصمة لله وحده »

اسمعتم هذه الجمل الثلاث ؟

لقد لخص فيها الجندي منهاجه كله .

المنهاج الذي يشتمل الدين ، والعلم ، والخلق ، لقننا مع العربية الدين، وقصد التقرب الى الله بخدمة لغة القرآن .

وأخذَنا من اول يوم ، بالبعد عن الجرائد والمجلات ، وهذا الادب الجديد ، ولم يكن على علينا في الاعراب والاستظهار ، الا الشعر الذي يحتج بعربيته ، من الجاهلي والاسلامي ، ويخرج لنا الالفاظ تخريج المحدثين الاحاديث ، فيميز لنا الصحيح من الدخيل ، والفصيح من الشاذ .

وهو على ذلك كله ، متواضع حيي ، غاض الطرف والصوت ، حاضر النكتة ، صافي القلب ، حسن المعشر ، رضي الخلق ، مستقيم لا تستطيع مغريات الدنيا ان تحوله عن طريقه .

ولقد سار على هذا المنهج ، حياته كلها ، ولكنه قاسى في هذا السير الاهوال ، لم يكن يوضع برنامج للعربية في المدارس او يبدل او يؤلف كتاب او يعدل ، الا دعوا الجندي ، فاذا جاء وجد اعداء العربية وخدمة الاستعمار متربصين له ، يريدون ان يجهلوا ابناء العربية بالعربية ، حتى يبعدوهم عن القرآن ، فيسلبوهم اقوى سلاح يحاربون به الاستعمار ، يسلكون لذلك ادق المسالك ، ويتخذون

لذلك اخفى المكر ، وكان عليه ان يحاربهم وحده ، يدفع مكرهم باخفى منه ، ويسلك لذلك ادق من مسالكهم ، فينال ذلك من اعصابه ومن صحته ، ولكنه يحتسبه جهادا عندالله .

وسيكون له ان شاء الله اجر المجاهدين .

لقد كان الجندي جنديا يحمي حمى العربية ، ان يدخله لص من باب البرامج او الكتب او الامتحانات العامة ، او من باب اختيار الجهلة للتدريس ، ما غفل يوما ولا فارق مكانه ، فلما سقط شهيدا ، صريع المعركة استبيح الحمى ، ورتع اللصوص ، ودخلوا من كل باب من هذه الابواب .

لقد بدلت البرامج ، وغيرت الكتب ، وعيث في الارض الفساد ، وصار بعض مدرسي العربية اليوم ، اضعف من بعض طلاب البكالوريا في تلك الايام .

لقد تساقط الحماة واحدا اثر واحد ، المبارك ، والبزم ، والجندي ، وخلا من اسوده العرين ، افليس في الشبال من يحمي الذمار ؟

بلى يا استاذي ، بلى !

هؤلاء هم تلاميذك ، يقسمون على قبرك الطرى ، انهم ماشون على طريقك ، حافظون لعهدك ، محامون عن لغة القرآن التي صرمت

حياتك كلها تحامي ، وتربي المحامين ، عنها ، وما بحولنا وقوتنا ، ولكن بحول الله وقوته ، وثقة بوعده ، انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون فكلما فتحوا للشر بابا ، من تسهيل قواعد العربية ، او درس اللهجات العامية ، كان هو الذي يسده ، وكلما اوقدوا نارا للحرب ، اطفأها الله والظفر للقرآن ، برغم ما هو خامد من نارهم وما هو (ساطع) .

يا سادة ، لقد صحبت الجندي ، تلميذا ، وزميلا في التجهيز ، وفي وفي الكلية الشرعية ، وسامرته ليالي طوالا ، وكنت معه في السفر والحضر ، وفي نفسي عنه ذكريات ، ما كشفت لكم الا طرف الطرف منها ، ولو اردت ان اسردها كلها لأبقيتكم هنا الى الصباح .

لقد كانت له على جلاله قدره اوهام ، وهل تعيش الاوهام الا في القلوب الكبار ؟ ومن اوهامه انه لم يكن يطيق ان يزور مريضا ، او يعزّي بفقيد ، مخافة ان يسمع باسم الموت .

وهذا هو الموت قد نزل به .

الموت ، لو نجا منه احد ، لكان أفضل الخلق محمداً رسول الله ﷺ

الموت ، ولكن هل مات الجندي ؟ هل مات من مشى في موكب المؤرخين المحققين بكتابه (تاريخ المعرة) ؟ ومن كان مع أئمة اللغويين بـ(اصلاح الفاسد) ، ومع اعلام النحويين ، بـ(كتاب النحو) ، ومع مؤرخي

الادب بـ (تاريخ ابي العلاء) ؟

ياأستاذي ، ان الموت حق ، ولكنك ستحيا مرتين : مرة في هذه الدنيا ، باسمك وعلمك ما بقيت الدنيا . ومرة عند الله ، بإيمانك وخلقك ، ودفاعك عن لغة القرآن ، وتلك هي الحياة الخالدة حقا .

اللهم اني لا أتألى عليك ولكن نبيك محمداً قال :

اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، وعلم نافع ، وولد صالح يدعو له .

اللهم وهذا علمه نافع ابدا ، وهؤلاء اولاده ، ونحن جميعا اولاده ، وما نحن بالصالحين ولكنا ندعو دعاء الصالحين :

اللهم ارحمه ، واعف عنه ، وادخله جنتك ، اللهم عوض هذه العربية منه ، اللهم لا تحرمنا اجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ، اللهم آمين .

علي الطنطاوي

القسم الثاني

كلمات بقية الفضلاء الذين تكرموا بالمشاركة في هذه الذكرى وكانت قد وصلت الى لجنة التأبين بعد طبع منهاج الحفلة ننشرها على ترتيب وصولها .



اساتذة ومجازو مدرسة الأدب العليا

ويرى الفقيد بينهم

كلمة الاستاذ الشيخ عبد الرزاق الحمصي
مدير الثانوية الشرعية بدمشق

أيها السادة الفضلاء :

لقد مرت على البلاد السورية حقبة غير قليلة من الزمن كانت فيها بأمس الحاجة الى مدرسة شرعية نظامية تخرج الاكفياء من القضاة الشرعيين والمفتين والخطباء والوعاظ .

وكانت هذه الناحية تخامر افكار كثير من رجال العلم والدين في البلاد ولذلك عقدوا اجتماعات كثيرة بحثوا خلالها وجوب العمل على تحقيقها فاتصلوا بالمقامات الرسمية واقنعوهم بضرورة ايجادها ولا سيما ان الابواب كانت موصدة امام طلاب العلوم الشرعية للسفر الى المعاهد العلمية في مصر وغيرها ، لان الانتداب في ذلك الحين وضع العراقيل الكثيرة لمنع ابناء البلاد من الانتهال من معاهد العلم الخارجية وخاصة الدينية منها .

ونتيجة لبذل الجهود الكبيرة والمساعي الكثيرة صدر مرسوم برقم ٤٢ / آ . س . موقع من فخامة المغفور له تاج الدين الحسني بتاريخ ٢٦ المحرم الحرام ١٣٦١ هـ الموافق ١٢ شباط ١٩٤٢ م بتأسيس معهد اسلامي

في دمشق يدعى بالكلية الشرعية الاسلامية[1] وغاية هذه الكلية خدمة الدين الاسلامي ونشر الثقافة والآداب الاسلامية واعداد طلابها للقيام بهذا الواجب على ان تقوم دائرة الاوقاف الاسلامية بالاشراف عليها وبجميع النفقات مما يحتاجه الطلاب من طعام وكتب ومبيت واختيار أقدر الاساتذة لتدريس مختلف العلوم المقررة لها في حلقاتها الثلاث وقتئذ. وان اللجنة التي قامت بتأسيسها وترتيب انظمتها هي فئة صالحة من كبار رجال الدين والعلم في هذا البلد انبثقت عن مؤتمر المفتين المنعقد في دمشق في ٢٦ ذي القعدة عام ١٣٦٠ هـ و ١٥ كانون الاول عام ١٩٤١.

كان المرحوم الاستاذ سليم الجندي من اعضائها المرموقين وقد انتخب اميناً لسر هذه اللجنة فكان يرتب لها جدول الاعمال ويحدد المواضيع والابحاث للمناقشة بين الاعضاء لاقرار الصالح والاوفق من الانظمة ومواد الدراسة حتى جاء نظاماً وافياً بالمراد شهد اساطين العلم بدقة تنظيمه ووفرة مواده وحسن توزيعها على فصول الدراسة وسنيها.

وعندما تألفت هيئة العمدة[2] من اللجنة الاصلاحية التنفيذية

---

(١) ذكرى العلامة المحدث الاكبر المرحوم الشيخ محمد بدر الدين الحسني.

(٢) وكانت العمدة مؤلفة من أصحاب السماحة والسعادة القاضي الممتاز والمفتي العام ورئيس جمعية العلماء ونقيب الاشراف ومدير الاوقاف الاسلامية العام ومدير أوقاف دمشق وممثلين اثنين عن وزارة المعارف والمرحوم الاستاذ سليم الجندي وكان رأس العمدة حينئذ سماحة القاضي الممتاز المرحوم الشيخ محمد عزيز الخاني.

للمؤتمر المذكور كان أيضاً المرحوم سليم الجندي من أعضائها وانتخب اميناً لسرها بحسب المادة السادسة من نظام الكلية الاساسي .

ولمراقبة تطبيق هذا النظام والاشراف المباشر عين ناظراً عاماً لهذا المعهد بالاضافة الى أمانة سر العمدة ، فقام بما توجبه عليه المصلحة العامه أحسن قيام بالتوجيه والارشادو التنظيم الى ان صدر قرار بتعيينه مديراً مع إسناد دروس الادب العربي لعهدته في الصفوف العالية ، فبذل المزيد من نشاطه حتى ظهرت الكلية بمظهر التقدم وأنجبت طلاباً اقوياء في كافة العلوم التي تلقوها واصبحوا من الرجال المرموقين في المجتمع وجلهم اساتذة للادب والدين في المدارس الرسمية .

ولا يزال اساتذة هذا المعهد يذكرونه بما اتصف به من العلم بالنواحي الفقهية والشرعية الى جانب ما اشتهر به من علوم اللغة العربية كما يتحدثون عن قوة ذكائه وفطنته وسرعة بديهته وانه كان يحب النكات الادبية وهو لذلك قلما يخلو حديثه الطلي عن طرفة منها كما لا يخفى هذا على اصدقائه وعارفيه .

رحم الله الاستاذ سليم الجندي الذي فقد بفقده ركن عظيم من أركان العلم والادب في الامة العربية .

١ كانون الاول ١٩٥٥ مدير الثانوية الشرعية بدمشق

عبد الرزاق الحمصي

كلمة صاحب الغبطة اغناطيوس افرام الاول برصوم
بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الاثوذكس

عرفنا الاستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق منذ خمس عشرة سنة، في زيارات له متواترة لحمص، فرأينا منه رجلا رضية أخلاقه، رصينة مواقفه، مخفوضاً جناحه، وفياً لأصدقائه، حسنة شمائله التي تزدان بها البيوتات الكريمة.

سمعنا منه وخضنا معه في أبحاث لغوية، ثم طالعنا له مصنّفات نشرت بالطبع منذ ذلك العهد، فاذا به الاستاذ الذي تقرأ الاساتذة تآليفه، وترتاح شيوخ العربية الى مجالسه وتصانيفه، ذلك انه ثابر على التبحّر في أسرار اللغة حتى أمسى من أركانها وعدّ حجة فيها: فلا غرو أن يغمّ المصاب به أعيان البلاد، وحضنة العلم ورجاله.

وقد مضى محموداً سعيه في تخريج رجال أدب وانجابه بنين أحسن تثقيفهم، طيّباً ذكره بما دبّجته يراعته. فحقّ علينا أن نشمل ذكراه بما أملاه علينا الخاطر قياماً بحق العلم وأهله.

حمص ٢ كانون الاول ١٩٥٥

اغناطيوس افرام الاول برصوم

قصيدة الاستاذ الدكتور زكي المحاسني

عضو لجنة التربية في وزارة المعارف

اشارة توديع الى استاذي سليم الجندي

الارضُ منبتُنا ونحن جسومُها — وأديمُنا بعد الممات أديمُها
يا حفنةَ التربِ المقبّل ثغرُها — كم فيكِ من شفةٍ يحِنُّ حميمُها
انّي ارى الارواح في زهر الربى — ويشوقني عَبْرَ النسيمِ نميمُها
وعيونُ ماءٍ روّقتني كأسُها — كانت عيونا في اللحاظ قديمُها
ما الموتُ الا حادثٌ عبرَتْ به — الدنيا كريحٍ في الفضاء هزيمُها
وكأنما الارياحُ آهاتُ الجوى — يبكي على مُرِّ الحياة رحيمُها
هذي المنيةُ من يُزحْ رِتاجَها — حتى نرى ما يستفيدُ كتومُها
لو لا الاحبةُ والقلوبُ وودُّها — جفّت مواجدُنا وضاعَ غريمُها
لكنها الذكرى تؤجّ بانفسٍ — حتى يلفّ الكائناتِ عميمُها
أسليمُ يا جنديَّ علمٍ فاتحٍ — أنْجَحْتَ حرْباً كان منك سليمُها
وبلغت شأو الخالدين بسمعةٍ — حفت بها الدنيا ودام نعيمُها
حسدوك وانطرحوا وخاب دويُّهم — لما نعمتَ وللعُداة جحيمُها
وامرؤٌ ما يصمي المكارم عصبةٌ — طُبعت على البلوى ولست الومها
ان كرّموكَ فبعضُ ما يكفي العُلى — ولأنت من كَلِمِ الرثاء كريمُها

قل لي عن الدنيا التي غادرتهـا : ما شأنها وهل استراح مقيمـها ؟
عصفت بها الادواءُ واستشرى لها طبعُ اللئيم وقد أُضيع حليمُها
يا واحدَ الفصحى وكنت امامَها من بَعْدَ يومك سِفرُها وعليمُها ؟
لبست بعهدك حلّةً محبوكةً وتنسّمَ البرءَ المُجيرَ سقيمُها
وأطلتَ وجدك للمعرّة تبتغي رهْنَ المحابس واستباك حكيمُها
روّيت في أُفق الشآمُ عظامَهُ حتى أُعيدَ الى الوجود رميمُها
لم يبقَ صَوْبَكَ حاجبٌ فانْهدْ له واجمع به قُربى عراكَ وسيمُها
من لم يجد عند الحياة خليله وافاه من خلف القبور نديمُها
يا نفحةَ الذكرى وقد مرّت على خفق القلوب وما تزال كلومُها
كانت ضفافُ النيل مسرحَ خاطري أهفو الى إمسائها وأرومُها
حتى اتاني نعيُ علامِ الملا فلممتُ آلامى ورحت أُديمُها
بردى فديتك جئتُ دارتك التي كم بتُّ عند الذكريات أشيمُها
وخشيت ارقُدُ في البعاد وشانني مثوى الجدود وفي الشآم قرومُها
مرّوا على جدَثِ الحبيبة واذكروا ان المدامع ما يَغيضُ نميمُها
أستاذتي في اليُتْم اين دفاتري يا ليته لم ينحسرْ تعليمُها
هاجت لكِ النجوى وسيلة راحلٍ إن الوفاء لأجله تعظيمُها
واسترجعَ الماضي مواكبَ معشرٍ حملوا المشاعل لا تغور نجومُها

أنكونُ بعد همو صدىً ضلّت به ... عقبى الجهود وقد أُثيرَ أليمُها

يا واردين البينَ روحي بعدكمْ ... ضاعت وما وجد الدروبَ بهيمُها

ما أقبح السلوانَ ان نامتْ على ... اشواكه ارواحُنا وهمومُها

افتحْ كتابَ الغاربينَ فمأتمٌ ... صفحاتُهُ وكفى الدموعَ عديمُها

والحزنُ معوانُ النفوس وما أرى ... مثلَ المباهجِ للنفوس يضيمُها

دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٥٥

زكي المحاسني

قصيدة شاعر الشام الحبيب الأستاذ خير الدين الزركلي *

اخي الاستاذ السيد سعيد الافغاني حفظه الله

تلقيت رسالتكم الكريمة (المؤرخة في ٢٠ ربيع الاول ١٣٧٥ ﻫ) تنعون بها الي الفقيد الكبير الاستاذ الجندي . وآلمني النبأ فحدثت به بعض الاخوان فزادوا المي بنعي صديق آخر ، عزيز علي وعليكم ، هو الاستاذ البزم . وكان كلاهما ممن رفع لواء العربية ثلاثين او أربعين عاماً ، متواليات ، تدريساً وشعراً ونثراً .

ورأيت ان كلمة موجزة او مسهبة في تأبينها لا يمكن ان تعبر عما في النفس من مرارة فقدهما ، فنظمت ابياتاً لعلها من الشعر ، في رثائها معاً ، وبينما هي امامي مهيأة لابعث بها اليكم ، فوجئت بدعوة عاجلة للسفر الى تونس فأنسيتها على مكتبي ، وسافرت ، وطالت غيبتي ، وعدت الآن الى مصر ، فبادرت الى الابيات ارسلها اليكم ولا ادري اقيمت الحفلة ام لم تقم . فان كان الاول فقد ابنت عذري ولكم ان تتصرفوا بطيها او نشرها ...

حفظكم الله ورعاكم وأحسن جزاء وفائكم ، اخي ؟

القاهرة في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٧٥

خير الدين الزركلي

لمن خلفتما الميدانْ ... فقيدَيْ لغة القرآن

لمن خلفتما الميدا - نَ والميدان للفرسان ..

يُحوِّم بعد يومكما ... حَميُّ الأنف في الأقران

ويدعو النِدَّ من قيسٍ ... يباريه ومن غسان

---

* تلقى أمين لجنة التأبين في (٢٦ جمادى الأولى الموافق ٩ / ١ / ١٩٥٦) مع قصيدة الأديب الكبير ، رسالة رأينا من حقه وحق الأدب نشرها عسى أن تكون بلسماً للذين أملوا سماع كلمة ابن دمشق البار في حفلة التأبين الكبرى فحالت دون تأميلهم اقدار .

وتفتقد النهى من كا — نَ للحجة والبرهان
لواؤكما على الفصحى وحكمكما هو الميزان

* * *

توارت أيكة الوادي وغارت نبعة البستان
وضل سبيله الحادي وأسلم للدجى الركبان
وناح وأعول الشادي وحطم كأسه النشوان
ودالت دولة النادى فلا عرش ولا سلطان
هل «الجنديُّ» و «البزمُ» انـ — ـطوى عليهما الصنوان ؟
أبالسهمين تُرمى مهـ — ـجة ويصيبها السهمان ؟
وهل يلتئم الجرحا ن والجرحان قتالان ؟
صريعا حومة الأقدا — رِ شبّا للأسى نيران
رثيت « سليمها » و « محمداً » وانهلت العينان
مضى «أدب» المبرد وانـ — ـقضى « نحو » أبي حيان
بكيت أبا العلاء بأوّ لِ والشنفرى في الثان
وأخلاقاً صفت كالتبـ — ـرِ واللؤلؤ والمرجان
وودّاً كان عذبَ الورِ — دِ المرتشف الظمآن

* * *

ذكرت دمشق والأيا — مُ ضافٍ ظلها فينان

وأرْدِيةُ الصبا جُدُدٌ وأحلام الهوى ألوان

ليالي الأنس بالأخدا — نِ قبل تفرق الأخدان

على بردى وربوته وحول تلاطم الغُدران

وبين خمائل النسر — ين والزنبق والريحان

وأنديةُ البيان الحـ — ـرِّ قائمة على أركان

منابرها مزاجرها — لمن يطغى — عن الطغيان

* * *

هوى بعلميْ جيلٍ هوى الأرزاء والحِدثان

وطاح بتاجيِ الإبدا — عِ في الافصاح والتِبيان

نعى قيصراً الناعي وثنّى بأنو شِروان

عمادا أدبٍ ضخمٍ رفيع راسخِ البنيان

شهابا فلكٍ غابا معاً في حلك الأزمان

* * *

صراعٌ ، منذ كان النا — سُ ؛ بين الفَقْد والوِجدان

يُعلله بنو الإنسا — نِ ، ما أغبى بني الانسان !

خير الدين الزركلي

تلبس بالتقى نفر غـواة   وطال القـول فيهم واللجاج
فلا تعجل بحمد الشيء حتى   تبين لك المآزق والفجاج
فقـد تتشابه الامواه شكلا   وفيها العذب طعماً والاجاج
ألست ترى المنـارة ذات عدل   بظاهرها وباطنها اعوجاج

وله من قصيدة ألقيت عقب إعلان الدستور العثماني (٢٣ شعبان ١٣٢٦ هـ):

لا حمد للعين ما لم يحمد الاثر   ما نضرة المسك لولا العرف والذفر
ولا يتم لذات الدل رونقهـا   حتى يطابق منها الخبرة الخبر
عفت حجاها رجال حاولت شرفا   بنسبـة لاناس قبلنا غبروا
كأنمـا القوم عادت جاهليتهم   لهم فما أغنت الآيات والنـذر
قالوا وفي الفرع اسرار الاصول كما   تُسقَى فتَسقي ذرى افنانها الشجر
ولو اميط لثام الترب عن رمم   بهـا تباهوا لقالوا المدعى هَدَر
اوصـح ماقيل كان الناس قاطبة   كآدم انبيـاء ما بهـم قَصَر
وذاك كنعان ما اغنته نسبتـه   لمـا اتيح له في دهره قـدر
وهـل تباهى العذارى في محافلها   بشعر جداتها من لا لها شعر
والخلق في عنصر التركيب متحد   وان تغـايرت الالفاظ والصـور

لا فضل فيه على وغد لذى خطر ... ما لم يكن آتيا من كسبه الخطر
وخير ما يكسب الانسان من شرف ... علم به تشرق الافهام والفكر
والمرء ما لم يفد او يستفد ادبا ... كواو عمرو فلم تقرأ ، وتستطر
والنحل يأكل ما تجني ويورثها ... ضيق المكان ولا يجني لها الذكر
بالموت يقفو أوالينا اواخرنا ... وقلّ من طاب عقبى موته الخبر
فامض لما شئت ذكرا من مضارعه ... فالعين تفنى ويبقى بعدها الاثر
واعمل لتبقى حديثا في الورى حسنا ... اذا طوت شخصك الغبراء ينتشر
فالحر يطلب إن يظفر بمحمدة ... ما فوقها ، لا على ما نال يقتصر
ذامت أواخر منا معشرا درجوا ... الى الثراء وهم في عصرهم غرر

ولـه من قصيدة

أبعد ما جفت الاقلام بالقدر ... تحاولين دفاع الحادث النكر
الصيف ضيّعتِ ما ترجين من لبن ... وهل يُفاد بضوء الشمس في السحر
وكيف حالة من ولّت شبيبته ... في الهزل وهو يريد الجد في الكبر
كرت عصورٌ فلم نحمد مغبتها ... ولا اتعظنا بما فيها من العبر
واليوم حاق بنا من كل ناحية ... من الكوارث ما يكفي لمعتبر
ومن يبت لقضاء الله والقدر ... مستسلما تأته الارزاء بالقدر
الله اكبر ما اشقى الحياة اذا ... لم تلف محفوفة بالعز والخطر

كأنما الدهر حوض نحن آخره ... فما ترى فيه غير الأسن والكدر
يا أيها القوم ما أوهى عزيمتكم ... حتى كأنكمُ موتى من الخَوَرَ
و كيف ترضون ان تطوى صحيفتكم ... على الصغار وانتم سادة البشر
موتوا لتحيوا ولا تحيوا لتنتظروا ... كتائب الموت تأتيكم على السرر
فالموت افضل للانسان من دعة ... وان يعيش أليف الذل والحذر
وقد يصيب الفتى بالجد بغيته ... ان واصل السعي في الآصال والبكر
جدوا ولا يغنكم في المجد ما اكتسبت ... آباؤنا الغر في ايامها الغرر
فافضل الناس من في الارض جثته ... ونفسه فوق هام الشمس والقمر
وما لنا اليوم غفلا لا نشابههم ... من المزايا بغير الطول والقصر
ان مرّ وقت ولم نزدد به شرفا ... فذاك من أشأم الساعات في العمر
لو اتفقنا لوّفقنا الى رشد ... لكن تأصل فينا عارض الوَحَرَ
حتى اتفقنا على ان لا اتفاق لنا ... في الدهر الاّ على التفريق والضرر
وكم رأينا شعوبا جمة رجعت ... بعد التآلف بالتوفيق والظفر
أكلما حاولت إيقاظنا فئة ... نزجي اليها سهام اللوم والهذر
وبعد ذلك نرجو ان يكون لنا ... من الحياة نصيب غير محتقر
هذي طريق اذا ظلنا نسير بها ... فنحن فيها لغير الموت لم نسر
حتى نعود بلا عين ولا اثر ... ك(ما) تميم بغير اسم ولا خبر

وله من قصيدة ايضاً

تكاثرت الدعاة بكل فج ولكن ليس ثمة من يُجيب
وكيف يفيدُ نصحُك مستهاما وقلبك من مقامك مستريب
اذا خلت النصيحة حين تُسدى عن الاخلاص مجتها القلوبُ
وهل تثق النفوس بقول داع وتعــلم ان قائله كذوب
وجدنا خدمة الاوطان فخا يصيدُ به مطامعه الاريبُ
وكم مُلئت جيوبٌ من نضار بذاك كأنما الوطن الجيوب
جهلنــا ما يراد بنا أخيــر فنفرح ام سواه فنستريب
تروّعنا المطــامع كل يوم وتُنذرنا الكوارثُ بالخطوب
فأطراف البلاد بها لهيب وفي الاحشاء قد دب اللهيب
ونحن من الجهالة في سُبات عميــق لا يدانيه هبوب

* * *

كلمة شكر

لقد اثبتت لنا وفاة الفقيد والدي المرحوم سليم الجندي ، ان له اصدقاء مخلصين وافياء صادقين ، لم يتبدل شيء في نفوسهم نحو الفقيد ، حال حياته وبعد مماته ، ولم يكونوا أقلّ حزناً منا عليه وافتقاداً له ، فواسونا في مصابنا ، وشاركونا في احزاننا . وكان لذلك ابلغ الاثر في نفوسنا بتخفيف هول الفاجعة .

ولم تكن حفلة التأبين ، التي اقاموها على مدرّج الجامعة السورية ، لذكراه الاربعين ، الا دليلاً على ما تكنه نفوسهم الابية من محبة وتقدير له . والا مظهراً من مظاهر الصدق والوفاء والاصالة والنبل .

فلم يكد يمض على وفاة الفقيد إلا أيام معدودات ، حتى تنادى اصدقاؤه وطلابه للاجتماع والعمل على أحياء تلك الحفلة ، لا يبتغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا وانما تلبيه لنداء الواجب واعترافاً بالجميل ، نحو استاذ كريم ، قدّم لهم حال حياته ، بعض ما استطاع تقديمه من خدمات في العلم والادب .

فُؤلفت لجنة التأبين من خيرة اصدقائه وطلابه ، وعملت جاهدة في احياء حفلة التأبين واظهارها بالمظهر اللائق بها ، واتصلت بالكتاب

والادباء والشعراء ، في كافة الاقطار العربيه طالبة اليهم ارسال ما تجود به قريحتهم في هذا الموضوع . فتجمّع لديها من الكلمات التي القيت اثناء الحفلة والكلمات التي لم تلق بسبب ضيق البرنامج عن استيعابها ، ثم طلبت الينا جمع تلك الكلمات وطبعها واخراجها للناس فلبينا الطلب.

وان لساني ليعجز عن تقديم عبارات الشكر والامتنان ، الى حضرات اعضاء لجنة التأبين الاكارم ، والى السادة الكتاب والادباء والشعراء والخطباء . الذين ساهموا في احياء هذه الذكرى ، والى حضرة رئيس الجامعة السورية الذي وضع مدرّج الجامعة تحت تصرف لجنة التأبين ، وأخص بالشكر حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية المعظم الذي أوفد مندوباً عنه لتقديم التعازي الى آل الفقيد ، ومندوباً لحضور حفلة التأبين ، ومعالي رئيس المجمع العلمي العربي والسادة أصحاب الصحف ، كما انني اشكر جميع السادة الذين حضروا تلك الحفلة ، راجياً من المولى عزّ وجل ، ان يجزيهم عنا خيراً ، وان لا يفجعهم بعزيز .

عن ابناء الفقيد

تاج الدين الجندي

الفهرس